الفهم المقاصدي للقرآن الكريم

بين النظرية والتطبيق

إعداد : الدكتور/ مبارك المصري النظيف محمد
أستاذ الفقه وأصوله - كلية الشريعة - جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ملخص البحث

يهدف هذا البحث المعنون بـ «الفهم المقاصدي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق» إلى تأصيل معنى الفهم المقاصدي للقرآن وبيان أهميته، وتحديد الضوابط العلمية التي ينبغي التقيد بها عند فهم القرآن فهماً مقاصدياً سليماً، وإبراز أثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن، وتحديد آثار فهم القرآن على الفرد والمجتمع.

منهج البحث المتّبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي.

ويخلُص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

- المراد بالفهم المقاصدي للقرآن –في رأيي- هو الفهم المستنير للقرآن الكريم في ضوء المقاصد القرآنية المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها.
- للفهم المقاصدي القرآني قواعد ضابطة؛ منها: اتباع منهج السلف في فهم القرآن وأبعاده المقاصدية، والالتفات إلى المقاصد، والإلمام بعلوم اللغة العربية وأساليبها المتنوعة، وفهم السياق القرآني، ومعرفة أسباب النزول، والعمل والتطبيق لكل ما تم فهمه من القرآن في واقع الحياة.
- يترك الفهم المقاصدي للقرآن أثراً واضحاً في الأمة -لو ترجم إلى واقعها بياناً بالعمل والتطبيق- يتمثل في الإصلاح؛ إصلاح الأمة في مختلف شؤون حياتها، إصلاحها في أحوالها الدينية والأخروية، وإصلاحها في أحوالها الدنيوية؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والأخلاقية والعلمية والأمنية.

إضافة إلى الخاتمة والتي تضم أهم النتائج والتوصيات.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمـة:

الحمد لله الذي بعث عبده بالقرآن ليكون للعالمين شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأزكى الصلاة والسلام على خير الأنام ومصباح الظلام سيد ولد آدم محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد:

فإن من بُشريات المستقبل أن تُرى الأمة المحمدية اليوم وهي في خضم ما تعانيه من ابتلاءات ومحن وجراح؛ مقبلة على كتاب ربها فهماً واستماعاً وتلاوة وحفظاً وتدبراً وتفسيراً وتعلماً واحتكاماً وعملاً وتفعيلاً، ذلك لأنها أدركت تمام الإدراك وعلمت علم اليقين أن تحقيق مقاصدها وتلبية مطالبها رهين بالعودة وتجديد الفهم للقرآن الذي يحمل لها الأمل في استرداد قوتها واستعادة مكانتها بين الأمم، والثقة كائنة والأمل معقود وهما يبشران بأن المستقبل لهذه الأمة؛ ما دامت متمسكة بالقرآن، متدبرة لآياته، فقيهة لنصوصه، مدركة لمقاصده، لا سيما وأنه المنهج والمخرج لها مما تعانيه، كما في حديث علي رضي الله عنه: (ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟. قال: كتاب الله)[1].

ومعلوم لدى كل مسلم أهمية قضية فهم النصوص القرآنية فهماً مقاصدياً والاجتهاد في وسائل تنزيلها على واقع الحياة، ولكن التفاعل مع القرآن والتحلُّق في آفاق آياته بتأمل معانيها وفهم سياقها وتذوق حلاوتها والعمل بمقتضاها، لا يتأتى إلا بمعرفة المقاصد التي تمثل البوابة الأساسية لفهم الرسالة القرآنية ومعانيها التفصيلية.

فالفهم المقاصدي كشاف لمحاسن القرآن ومصالحه للأنام وهدايته وإصلاحه للأحوال في المعاش والمعاد. قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل:٨٩).

ومن هذا المنطلق، وسعياً إلى نقل المعرفة من مجال التنظير والتأصيل إلى حيز التطبيق والتفعيل، جاء هذا البحث الذي بعنوان: «الفهم المقاصدي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق».

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- الفهم المقاصدي في غاية الأهمية لا يستغني عنه كل متأمل في كتاب الله تعالى، وشرط ينبغي أن يستوفيه كل مفسر حتى يكون فهمه للقرآن صحيحاً، ويعتمد عليه كل

١/ أخرجه الترمذي في سننه (٥/١٧٣) ح(٢٩٠٦).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مجتهد يمارس الاستنباط والتأويل، ففهم نصوص الشارع على النحو المطلوب يحتاج إلى دراية بعلم مقاصد الشريعة.

- الفهم المقاصدي للقرآن الكريم يساعد في دفع التعارض بين النصوص القرآنية توفيقاً وترجيحاً؛ فالجهل به أو إغفاله يؤدي إلى الوقوع في الخطأ والانحراف.
- الفهم المقاصدي يعتبر من الضوابط العلمية والمنهجية للقرآن الكريم الذي يلعب دوراً كبيراً في غلق الباب على الطفيليين أدعياء المقاصد والاجتهاد وأصحاب النوايا الخبيثة، وكذلك الاتجاهات المنحرفة المعادية للإسلام والمسلمين.

أهداف البحث:

يمكن إجمال الأهداف في الأمور التالية:

- تأصيل معنى الفهم المقاصدي للقرآن وبيان أهميته، وتحديد الضوابط العلمية التي ينبغي التقيد بها عند فهم القرآن فهماً مقاصدياً سليماً.
- إبراز أثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن، وتحديد آثار فهم القرآن على الفرد والمجتمع.
- الكشف عن جهود العلماء السابقين والمعاصرين في ترسيخ منهجية فهم القرآن الكريم وتطبيقه.
- إظهار سماحة الإسلام ومحاسنه من خلال فهم معاني القرآن والوقوف على مقاصده وغاياته.
- الارتقاء بالأمة في كافة مناحيها لتكون أهلاً لتفعيل المنهج الرباني وقيادة الإنسانية نحو عمارة الكون.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث فيما يلي:

- غياب الوعي بأهمية الفهم المقاصدي مع قلة الدراسات المقاصدية حول القرآن الكريم.
- عدم تفعيل الآليات والضوابط العلمية لفهم القرآن والاكتفاء بقراءته وحفظه دون فهم وتدبر.
- الابتعاد عن منهج السلف المعتدل في فهم القرآن الكريم وطريقة التعامل معه ورعاية حقوقه.
- تجاهل أثر الفهم المقاصدي على الفرد والمجتمع واستثماره في حل مشكلات الحياة.

الدراسات السابقة للبحث:

على حسب اطلاع وحد علم الباحث، فإنه لم يكتب في هذا الموضوع كتاب مستقل إلا بحثين هما: توظيف المقاصد في فهم القرآن وتفسيره، د. التهامي الوزاني. وأثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن الكريم، د. أشرف بني كنانة. إضافة إلى بعض أبحاث مؤتمر تدبر القرآن الكريم الذي نظمته الهيئة العالمية للتدبر، بالدوحة، ٢٠١٣م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي في استقصاء المعلومات المتعلقة بقضية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم وإبراز تأصيلها، كما استخدمت المنهج الاستنباطي من خلال تحديد أثر الفهم المقاصدي على الأمة وتوظيف المعرفة المقاصدية لفهم القرآن وتفسيره.

كما درجت على أن أوثق للآيات القرآنية في صلب البحث، واكتفيت بأن أوثق للمعلومات بذكر اسم الكتاب ومؤلفه فقط على الهامش، وما سواهما مضمن في مصادر البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون تقسيمه إلى ثلاثة مباحث بين مقدمة وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وتناولت أهمية البحث وأهدافه ومشكلته والدراسات السابقة له ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث (الفهم، المقاصد، القرآن)، وأهمية الفهم المقاصدي.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث (الفهم، المقاصد، القرآن).

المطلب الثاني: أهمية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: قواعد الفهم المقاصدي للقرآن وموانعه.

المطلب الأول: قواعد الفهم المقاصدي للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الموانع الصارفة عن الفهم المقاصدي للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: أثر الفهم المقاصدي للقرآن على الأمة، ونماذج تطبيقية للتفسير المقاصدي.

المبحث الأول: أثر الفهم المقاصدي للقرآن على الأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في توظيف مقاصد الشريعة لفهم القرآن «التفسير المقاصدي».

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى أسال أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات البحث (الفهم، المقاصد، القرآن)، وأهمية الفهم المقاصدي

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث (الفهم، المقاصد، القرآن)

أولاً: تعريف الفهم لغة واصطلاحاً:

الفهم **لغة:** قال ابن منظور: «الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب، فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة عَلِمَه، وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته، وفَهَّمْت فلاناً وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الكلام فَهِمه شيئاً بعد شيء، ورجل فَهِمٌ سريع الفَهْم، ويقال: فَهْمٌ وفَهَمٌ، وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إياه جعله يَفْهَمُه، واسْتَفْهَمه سأَله أن يُفَهِّمَه، وقد اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته، وفَهَّمْته تفهيماً وفَهْم قبيلة «أبو حي» وهو فَهْم بن عَمرو بن قَيْسِ بن عَيْلان»[1].

وقال الزبيدي: «فَهِمه: أي علمه وعرفه بالقلب. والفرق بين الفهم والعلم، فإن العلم مطلق الإدراك، وأما الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها. وقيل: الفهم: تصور المعنى من اللفظ. وقيل: هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن. وقيل هو: جودة الذهن من جهة تَهَيُّئه لاقتناص ما يرِد عليه من المطالب. والفهَّامة: هو الكثير الفهم»[2].

وقال ابن فارس: «الفاء والهاء والميم: علم الشيء»[3]، ورجل فهيم؛ سريع الفهم[4]. والتفهيم إيصال المعنى إلى فهم السامع بواسطة اللفظ[5]. وتفهَّمْتُ المعنى؛ إذا تَكَلَّفْتَ فَهْمَه[6]. ومنه المفهوم وهو الصورة الذهنية كما عند المناطقة[7]، وعند الأصوليين المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق[8].

فمن خلال هذا العرض يضح أن الفهم (بسكون الهاء وفتحها) في لغة العرب يدور معناه على العلم والمعرفة وجودة الذهن، وتصور المعنى من اللفظ.

والفهم **اصطلاحاً**: لا يخرج معناه عن هذه المعاني اللغوية: جودة الذهن، ومعرفة الشيء

١/ لسان العرب (١٢/ ٤٥٩).
٢/ تاج العروس (٣٣/ ٢٢٤).
٣/ معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٥٧).
٤/ أساس البلاغة، الذمخشري(١/ ٣٦٠)، كتاب العين، الفراهيدي (٤/ ٦١).
٥/ التعريفات، الجرجاني (١/ ٨٨).
٦/ تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ١٧٧).
٧/ الكليات، أبو البقاء الكفوي (٤/ ٢٨٢).
٨/ أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي (١/ ٣٦١).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بالقلب، وتصور المعنى من اللفظ، وقد ورد لفظه في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة الفعل المضعّف، قال تعالى:)فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء:٧٩).

ثانياً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

المقاصد **لغة:** جمع مقصد؛ وأصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصِد قصْداً ومقصِداً[١]، والقصد يطلق ويراد به عدة معاني لغوية[٢]: منها العدل والتوسط في الأمور وعدم الإفراط؛ كما في قوله تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) (سورة لقمان: ١٩)، أي: توسط فيه. ومنها الاعتماد والأَمّ والطلب؛ كما جاء في الحديث: (فقصدت عثمان حتى خرج إلى الصلاة)[٣]، أي: طلبته. ومنها استقامة الطريق؛ كما في قوله تعالى: (وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) (سورة النحل: ٩)، أي: الطريق المستقيم. ومنها القرب؛ كما في قوله سبحانه: (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ) (سورة التوبة:٤٢)، أي: موضعاً قريباً سهلاً[٤]. وأقرب المعاني المقصودة هو معنى الأَمّ وطلب الشيء والتوجه.

والمقاصد **اصطلاحاً**: لم أقف على حد أو تعريف لها رسمه القدامى، ولكن المُحْدَثين تناولوها بتعريفات متنوعة، منها:

- تعريف محمد الطاهر بن عاشور، هي: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[٥].
- تعريف علال الفاسي، هي: «الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[٦].
- تعريف محمد سعد اليوبي، هي: «المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد»[٧].
- تعريف يوسف حامد العالم: "الغاية التي يرمي إليها التشريع، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"[٨].

١/ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/٩٥).

٢/ انظر: تاج العروس (٥/١٩٠)، لسان العرب (٣/٣٥٣)، أساس البلاغة (٢/٨٠)، المصباح المنير، الفيومي ص٣٠٠، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص٣٩٦، مختار الصحاح، الرازي، ص٥٣٦.

٣/ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٧/٦٧) ح(٣٦٩٦).

٤/ انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (٦/١٤١).

٥/ مقاصد الشريعة، ص٥١.

٦/ مقاصد الشريعة ومكارمها، ص٣.

٧/ مقاصد الشريعة الإسلامية، ص٣٧.

٨/ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص٧٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- تعريف أحمد الريسوني، هي: «الغايات التي وُضِعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد»[١].
- تعريف نور الدين الخادمي، هي: «المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حِكَماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين»[٢].
- تعريف وهبة الزحيلي: " المعاني والأهداف الملحوظة في جميع أحكامه أو معظمها، أو هي الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامه«[٣].
- تعريف محمد بكر إسماعيل: »المصالح العاجلة والآجلة للعباد التي أرادها الله عز وجلَّ من دخولهم في الإسلام، وأخذهم بشريعته"[٤].
- تعريف عبد العزيز ربيعة: »ما راعاه الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من مصالح للعباد، ومما يفضي إليها مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً"[٥].

وأما المراد بعبارة "**مقاصد القرآن**" فهي: مجموع المعاني والحكم والغايات العليا المنثورة في ثنايا السور والآيات والفواصل والأجزاء والأحزاب القرآنية والتي تشكل مراد الله عز وجل من إنزاله القرآن الكريم على المكلفين في الدارين[٦]. وقيل هي: القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته تعريفاً بالإسلام وتحقيقاً لمنهجه في هداية البشر[٧]. وقيل هي: الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد[٨].

ثالثاً: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً:

القرآن **لغة:** على وزن فُعْلان كغُفْران وشُكْران، وهو من قرأ بمعنى جمع وضم، تقول: قرأ قراءة وقرآناً، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (سورة القيامة: ١٧،١٨) أي: قراءته. وسمي القرآن بالقرآن؛ لأنه جامع لثمرة جميع العلوم الكونية والكتب السماوية،

١/ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص٧.

٢/ الاجتهاد المقاصدي.. حجيته.. ضوابطه.. مجالاته، ص٢٥.

٣/ أصول الفقه الإسلامي (٢/١٠١٧).

٤/ مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، ص١٣ .

٥/ علم مقاصد الشارع، ص٢١ .

٦/ الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن الكريم، محمد المنتار، ص ٧.

٧/ جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، مسعود بو دوخة، ص٩٥٦.

٨/ مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، ص٢٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ) (سورة النحل: ٨٩). وقيل: لأنّه جمع السور المائة والأربع عشرة (١١٤) سورة[١].

والقرآن **اصطلاحاً**: هو أعرف من أن يُعرّف وأبين من أن يُبيّن، ولكن إذا اتجهنا إلى أهل الأصول نجدهم قد عرفوه بأنه: كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، باللسان العربي، المعجز المتحدى به، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[٢].

ومن ثم فإن المراد بمصطلح «**الفهم المقاصدي للقرآن**» - على ما يبدو لي - فهو: تأسيس فهم القرآن وإدراك معانيه والاجتهاد في تأويله واستنباط أحكامه وترجيح الأقوال التفسيرية المتعارضة، تعويلاً على مقاصده التي نزل لأجلها. أو هو العمل بالمقاصد والاعتماد عليها والالتفات إليها أثناء عملية فهم النصوص القرآنية والاجتهاد فيها واستنباط الأحكام، أو هو الفهم المستنير للقرآن الكريم في ضوء المقاصد القرآنية المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها[٣].

والفهم المقاصدي للقرآن يتصل في مدلوله بالتدبر الذي معناه «التبصر الموصل إلى دلالات آيات القرآن وما وراءها من حكم وأسرار بقصد الانتفاع بها علماً وإيماناً وعملاً»[٤]، وهو -في الحقيقة- فتح وعطية من الله تعالى للعبد المتأمل في خطابه لفهم معانيه وإدراك مقاصده، وهذا المعنى يؤكده بوضوح قول الإمام علي رضي الله عنه، لما سأله أبو جحيفة: (هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟. قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن...)[٥].

المطلب الثاني: أهمية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم

يمكننا أن نستخلص أهمية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم في الجوانب الآتية:

١/ الكشف عن محاسن القرآن وأهدافه وما يحويه من هداية ومصالح للمكلفين: فالفهم المقاصدي كشاف لمحاسن القرآن ومصالحه للأنام وهدايته وإصلاحه للأحوال في المعاش والمعاد، قال ابن عاشور: «إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر

١/ انظر مادة «قرأ» في: لسان العرب (١/١٢٨)، الصحاح (٢/٦٧)، مناهل العرفان، الزرقاني (١/١٤- ١٥).

٢/ أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي (١/٤٢١).

٣/ أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي، مبارك المصري النظيف، ص ١٣.

٤ المرجع السابق، ص٧.

٥/ أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١١١٠) ح(٢٨٨٢)، الترمذي في سننه (٤/٢٥) ح(١٤١٢). وقال: حسن صحيح.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الناس كافة رحمة لهم، لتبليغهم مراد الله، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل:٨٩)، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية»[١].

فالقرآن الكريم يحتوي على أرقى المقاصد وأكبرها، وأعلى المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر وأساس النقول والعقول، وقاعدة أي بناء حضاري يهدف إلى الإعمار والتنمية والازدهار والتقدم والصلاح[٢]، وكافة مقاصد الشرع المعتبرة والمعلومة والمقررة في الدراسات الشرعية إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها، صراحة أو ضمناً إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته.

٢/ **الإعانة على تفسير القرآن وتيسير فهمه وتدبره:** فمعرفة المقاصد من أهم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى فهماً صحيحاً، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير القرآن والتبحر في دلالته وهداياته ودقائق معانيه[٣]. فهي البوابة الأساسية لفهم الرسالة القرآنية ومعانيها التفصيلية. فقد كان الفهم المقاصدي للقرآن الكريم عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم راقياً حياً يملأ جنبات حياتهم، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لو ضاع مني عقالُ بعيري لطلبته في القرآن الكريم، فإن الله تعالى يقول: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام: ٣٨). فلزم أهل العصر -اقتداءً بأسلافهم الأخيار- أن يعيدوا النظر في تعاملهم مع القرآن؛ لأن الله تعالى بيّن أن المقصود من إنزال القرآن إنما هو تدبره وتفهمه والتفكر في أوامره ونواهيه وقصصه ومواعظه وأمثاله ووعده ووعيده، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) (ص:٢٩). فالغاية من إنزاله هي فهمه وتدبره والعمل بمقتضى ذلك، ولا يمكن أن يعمل الإنسان بشيء لا يفهمه، ومثَلُ من يقرأ القرآن ولا يفهمه، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم يأمرهم فيه وينهاهم، ويدلهم على ما ينفعهم، ويحذرهم مغبة سلوك طريق معين؛ لأن عدوهم فيه رابض، فعظموا الكتاب ورفعوه فوق رؤوسهم، وصاروا يتغنون بقراءة ما فيه، لكنهم سلكوا الطريق الذي نهاهم عنه فخرج عليهم العدو فقضى عليهم. قال الشاطبي في معنى قوله تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) (النساء:٨٢)؛ «التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد،

١/ التحرير والتنوير (١/٣٨).

٢/ الاجتهاد المقاصدي، الخادمي (١/٧٠).

٣/ علم مقاصد السور، محمد عبد الله الربيعة، ص١٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل لهم التدبر»[١]. فالفهم الأمثل للنصوص الشرعية يتوقف على معرفة مقاصد الشريعة. قال ابن عاشور: «أدلة الشريعة اللفظية لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية»[٢].

٣/ الإعانة على استنباط الأحكام والحِكَم: مما لا ريب فيه أن معرفة قصد المتكلم أدعى إلى فهم كلامه وتطبيقه، فإذا كان هذا الحال بصفة عامة، فهو بالنسبة لكلام الشارع آكد، ولهذا اعتبر علماء الأصول أن استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها لا بد له من ركنين أساسيين أولهما: العلم باللغة العربية والحذق بها لمعرفة ما دل عليه ظاهر اللفظ. وثانيهما: العلم بمقاصد الشارع لمعرفة المعنى المقصود من ظاهر اللفظ. قال **ابن القيم**: «واعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد مليء باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نوراً على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيماناً وبصيرة»[٣].

٤/ الترجيح والتوفيق بين المتعارضين: فالعلم بالمقاصد ليس مقصوداً لذاته، وإنما يراد به إعماله واستثماره في فهم وتوجيه النصوص الشرعية الظنية المتعارضة، فقد ينقدح في ذهن المتأمل لنصوص القرآن تعارض بينها في الظاهر، فبمعرفة المقاصد يمكن دفع هذا التعارض بالترجيح أو التوفيق. وقد ينشأ سبب التعارض بين النصوص نتيجة لوجود تعارض بين علتين أو مقصدين، فيقوم المجتهد بالترجيح بينهما[٤]. ولذلك لا يخفى دور القواعد المقاصدية في نفي التعارض والتناقض بين الأحكام المستنبطة وفق إجراء المقاصد وإعمالها.

٥/ العصمة من الوقوع في الزلل: فإن إدراك المقاصد يعصم المفسر من التأويلات الخاطئة والتفسيرات المجانبة للصواب؛ لأنها توسع الآفاق وتعطي أبعاداً جديدة للنص لم يكن يتوقعها بدون معرفة المقاصد. وقد بيّن الشاطبي أن من أسباب الانحراف في التفسير عدم الالتفات إلى المقاصد، فقال: "فمن فهم مراد الله تعالى من كلامه لم يتجرأ عليه بالتحايل تبديلاً وتغييراً، وكذلك من وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المقاصد، فإنه يكون قد قصر في فهم مراد الله، وكذا ما ابتدعه المشبهة والمعطلة في

١/ الموافقات (٣/٣٨٣).

٢/ مقاصد الشريعة، ص٨٤٧.

٣/ مدارج السالكين (١/٣٣٥).

٤/ توظيف المقاصد في تدبر القرآن، يوسف أحمد البدوي، ص٢٤.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

آيات الصفات، يعود إلى هذا الخلل في فهم مقاصد القرآن، ومراد الله من خطابه"[1].

٦/ إزالة آثار الخلاف والتعصب: ففهم القرآن على النحو المطلوب يجلب الإلفة واجتماع القلوب ويزيل أثر الخلاف من فرقة وتعصب واقتتال. فعن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه؛ كيف تختلف هذه الأمة، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس، فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أُنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا[2]. قال **ابن القيم**: «صحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد، ويمدّه حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية»[3].

١/ انظر الموافقات (٣/ ٣٩٠)، الاعتصام (٢/ ٢٤)، وكلاهما للشاطبي.

٢/ الموافقات (٤/ ١٤٧، ١٤٨).

٣/ إعلام الموقعين (١/ ٦٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني

قواعد الفهم المقاصدي للقرآن وموانعه

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: قواعد الفهم المقاصدي للقرآن الكريم

إن المتأمل في النص القرآني الطالب فهمه فهماً مقاصدياً صحيحاً لابد بعد أن يستفرغ جهده أن يتقيد بضوابط معينة تتميز بالاطراد والثبات والانضباط؛ لأن التوسع في الفهم المقاصدي للقرآن دونما ضوابط منهجية وقواعد محكمة، يمكن أن يشكل شرخاً غائراً، يؤدي إلى اضطراب وفوضى تدعو إلى رفض أحكام الشريعة أو تعطيلها تحت مسمى المصالح والمقاصد، وخاصة في ظل المتغيرات الراهنة. ولكي تكون عملية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم صحيحة مؤثرة، لابد لها من قواعد وضوابط تؤطرها وترسم لها آفاقاً واضحة وحدوداً معلومة، تتحكم في استيعاب الهدي الرباني، وفهم دلالات الخطاب القرآني وأبعاده. ومن هذه القواعد الضابطة:

١/ الاستعانة بالله في فهم خطابه مع التجرد والإخلاص والتقوى:

فالاتصاف بالتقوى، والافتقار إلى الله بالدعاء وطلب العون والتوفيق والسداد، والتجرد من التعصب المذهبي وتوافر العدالة، والضّبط، والسّلامة من اتباع الهوى، والتثبت[١] ونحوها، كلها عوامل ضابطة للفهم المقاصدي للقرآن. قال **ابن تيمية**: "إن النظر المجرد في الدليل دون توافر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه ودون انتفاء الموانع المعوقة، من وسوسة الشيطان، لا يحصل الفقه الصحيح، ولا معرفة قصد الشارع من أوامره ونواهيه وأخباره"[٢]. كما لا تنكشف مقاصد القرآن وأسراره إلا بقدر غزارة العلم، وصفاء القلب وتوفر الدواعي للتدبر والتجرد للطلب[٣]. قال **الزركشي**: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان»[٤].

٢/ معرفة القرآن الكريم نفسه والسنة المطهرة وعلومهما:

بمعنى أن أحق وأفضل ما يُفهم ويُفسر به القرآن هو القرآن نفسه، فإذا قصدت أن تفهم

١/ الفتيا في النوازل في المذهب المالكي، الأصول والضوابط والآثار، مبارك المصري، ص١٧.

٢/ نقض المنطق، ابن تيمية ص٣٥.

٣/ إحياء علوم الدين، الغزالي (١/١٩٣).

٤/ البرهان (٢/١٨٠).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القرآن حق الفهم فتأمل فيه كله؛ لأن القرآن يوضح بعضه بعضاً، فما وجدته مجملاً في مكان، ستجده مبينًا في مكان آخر، وما وجدته مختصرًا في مكان ستجده مبسوطًا في مكان آخر، وهذه قاعدة مهمة ضابطة للفهم سار عليها طائفة من أهل التفسير القدامى والمُحْدَثين، كمحمد الأمين **الشنقيطي** في كتابه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وغيره. وكذلك مما يعين على الفهم بيان النبي صلى الله عليه وسلم المتمثل في السنة المطهرة؛ لأن الله تعالى قال له: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل: ٤٤). قال **الآلوسي**: «إن مقاصد القرآن وحقائقه وأسراره لا تعرف إلا عن طريق السنة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم»[١]. وقد ذكر **مناع القطان** شروطاً للمفسر منها: "صحة الاعتقاد، والتجرد عن الهوى، والبدء بتفسير القرآن بالقرآن، ثم السنة..."[٢].

وكذلك معرفة علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والآيات المكية والمدنية، ومعرفة الوقف والابتداء، ومعرفة العلاقة بين أسماء الله الحسنى والآيات التي وردت فيها، كلها قواعد معينة على فهم القرآن الفهم المطلوب. إضافة إلى الدراية بعلوم السنة لأنها المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...)[٣].

٣/ اتباع منهج السلف في فهم القرآن وأبعاده المقاصدية:

إن الخيّرية التي امتاز بها سلف هذه الأمة، إنما كانت بسبب إقبالهم واعتزازهم واحتفائهم وتمسكهم بكتاب ربهم وتدبرهم إياه. وقَمِنٌ بالذي يروم اقتفاء أثرهم أن يقترب من القرآن الكريم ويتعرف على منهجهم في فهمه وكيفية التعامل والتفاعل معه؛ لأنهم عاصروا التنزيل وعرفوا التأويل، ولهذا المنهج السلفي في تدبر القرآن وفهمه أسس وموجهات[٤]، أذكر منها:

أ/ تعظيم القرآن الكريم في القلوب والقيام بحقوقه: فلو عظمناه وعرفنا له حقه لحل بنا من الخير ما حل بهم ولما أصابنا الذي أصابنا، لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد، ولرفرفت رايات الإسلام على كل بلد؛ لأن القرآن هو القرآن على مر العصور لا يخلق من

١/ روح المعاني، الآلوسي (٢١/١٠٦).

٢/ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص٣٢٩ وما بعدها.

٣/ حديث المقدام بن معد يكرب، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٣١) ح(١٧٢١٣)، أبو داود في سننه (٤/٢٠٠) ح(٤٦٠٤).

٤/ أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي، مبارك المصري، ص ٢٣، ٢٤.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وفيوض الخير والبركات فيه وفيرة وكثيرة، فإذا أردناه لنا دستوراً فلا بد من تقديسه، ولا بد من مراعاة حقوقه وتعظيمه في قلوبنا وتأسيسه. قال الحارث المحاسبي: (إذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلم به، لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له وإجلالاً. إذا كان الله قائله، فحب القول على قدر حب قائله)[1]. ولذلك اعتنى به الصحابة وتابعوهم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً، وعلى ذلك سار سائر السلف.

ب/ التأهيل والتهيؤ لفهم القرآن الكريم وتدبره: وذلك من طهارة قلبية وزيادة إيمانية وصدق ومحبة وإخلاص وتواضع وصبر. ولا شك أن للقرآن الكريم تأثيره البليغ الأخاذ في أذن وقلب من لازمه وائتم به وتدبر آياته، ووقف على عجائبه وعظاته، ولكن هذا القلب المؤثَّر عليه لا ينتفع بذلك إلا بعد طهارته وحضوره مع الخشوع والمحبة والتعظيم والتسليم. قال ابن قيم الجوزية: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق:٣٧)، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر)[2].

ج/ فقه التعامل مع القرآن كما ينبغي: فلو علمنا ما علموا أن هذا القرآن إكسير الحياة وروح الوجود وربيع القلوب ووثيقة الرشد الخالدة، لأتقنا فن التعامل معه، تأمل معي إلى ما قاله الحسن بن علي رضي الله عنهما: (إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويتفقَّدونها في النهار)[3]. ولذلك من أراد تفهم القرآن ومعرفة مقاصده فإنه لابد له من الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين، ليطمئن إلى أن المعنى الذي استخرجه هو معنى صحيح. قال القرضاوي: «لما امتازوا به من مشاهدة أسباب التنزيل وقرائن الأحوال، فرأوا وسمعوا ما لم ير غيرهم ولم يسمع، مع عراقة في اللغة بالسليقة والنشأة، وصفاء في الفهم، وسلامة في الفطرة، وقوة في اليقين"[4].

١/ العقل وفهم القرآن، ص٣٠٢.

٢/ الفوائد، ص ٣.

٣/ التبيان، النووي، ص ٢٨. ونسب إلى الحسن البصري، بلفظ: (وينفذونها بالنهار)، إحياء علوم الدين، الغزالي (٥٠٠/١).

٤/ كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص ٢٢٩.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

د/ مراعاة معهود الأميين: فمعلوم أن القرآن نزل بما يفهمه الأميون في وقت نزوله، وأنه لا سبيل لفهمه إلا بمقدار ما يفهمه هؤلاء الأميون. وأن العلوم الحديثة التي لا يعلمها العرب الأميون لا مدخل لها في فهم القرآن. يقول الشاطبي: هذه الشريعة المباركة أمية لأن أهلها كذلك، فهو أجرى على اعتبار المصالح. والمقصود بأنها أمية: أي لا تحتاج في فهمها وتعرفها إلى التغلغل في العلوم الكونية والرياضيات وما إلى ذلك[1].

والمعنى أن المقاصد لا تحتاج في بيانها إلى العلوم الحديثة بشكل إجمالي إلا في حالات خاصة مع مراعاة الضوابط التي تحفظ للقرآن مقاصده التي لأجلها أُنزل. قال القرضاوي: "إن العبارة القرآنية أو الجملة القرآنية، قد جعل الله فيها من المرونة والسعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن، ويجد فيها المسلم ما يشبع فكره ووجدانه معاً بالفهم الفطري السهل الميسر لكل قارئ للقرآن. ولهذا أودع الله الجملة القرآنية من السعة والخصوبة ما يتسع لما يكشف عنه الزمن من حقائق، وما يبلغه العلم من تطور وتقدم، كما نشاهد في عصرنا"[2].

٤ / إعمال المقاصد واعتبارها في فهم النص القرآني:

فالاهتمام بمعرفة المقاصد الكلية والقضايا الأساسية للقرآن الكريم للاستفادة منها في التأويل والاستنباط، يعين في ضبط الفهم المقاصدي. وإذا كان عدم مراعاة هذه المقاصد يمكن أن ينجم عنه قصور في الرؤية والتأويل، فكذلك الحال بالنسبة للغلو والتطرف في استعمالها دونما ضوابط أو حدود، والخير كل الخير في التوسط.

ومن المعلوم أن الإلمام بمقاصد الشريعة ليس مقصوداً لذاته، وإنما المطلوب إعماله واستثماره في فهم النصوص الشرعية وتوجيهها، وخاصة النصوص ظنية الدلالة إذ يستعين المجتهد بالمقاصد في فهم النصوص واختيار المعنى المناسب لتلك المقاصد وتوجيه معنى النص بما يخدمها، وقد يصل الأمر بالمجتهد إلى تأويل النص وصرفه عن ظاهره في حال مخالفة ذلك المعنى الظاهر لمقاصد الشريعة وكلياتها[3]. قال **الشاطبي**: «فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة،، وإنما التفقه في المعبّر عنه والمراد به»[4]. ولضرورة إدراك مقاصد القرآن، قال **ابن عاشور**: «أليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن

١/ الموافقات (٢/١٠٩).

٢/ كيف نتعامل مع القرآن الكريم، القرضاوي، ص٣٩٧.

٣/ طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم، ص٤٦.

٤/ الموافقات (٣/٤٠٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يعلم المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن لتبيانها...»[1]. فلا بد من اعتبارها في فهم النص القرآني، كما لابد من مراعاة مآلات الأفعال وعواقبها عند النظر والفهم والاستنباط، ومعرفة الأمور التوقيفية التعبدية والاجتهادية المعللة، حتى ينضبط مفهوم التعبد والتعليل.

٥ / الإلمام بعلوم اللغة العربية وأساليبها المتنوعة:

فالاهتمام بلغة القرآن الكريم التي نزل بها وتعلُّمها وفهمها والتدرب عليها؛ قاعدة مهمة من قواعد الفهم المقاصدي للقرآن، ذلك لأن القرآن لا يُفهم إلا بما نزل به، وما نزل به هو اللغة العربية، كما قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (سورة يوسف: ٢)[2]. قال **الشاطبي**: «فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[3]. وقال أيضاً: "فإن القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي، كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له التكلم فيهما ؛ إذ لا يصح له نظر حتى يكون عالماً بهما"[4]. فتعلم العربية ضروري لفهم مراد القرآن حق الفهم، وعلى قدر تفاوت الناس في فهم خصائص العربية تتفاوت فهومهم وعلومهم بالقرآن الكريم. وقال **الشافعي**: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[5]. وقال **ابن تيمية**: «فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[6]. وقال أيضاً: «والقرآن نزل بلغة العرب فلا يجوز حمله على اصطلاح حادث ليس من لغتهم لو كان معناه صحيحاً، فكيف إذا كان باطلاً في العقل»[7]. وقال **محمد عبده**: «بقاء الإسلام لا يكون إلا بفهم القرآن فهماً صحيحاً ولا بقاء لفهم القرآن إلا بحياة اللغة العربية،... ولهذا اتفق علماء الإسلام من العرب والعجم على حفظ اللغة العربية ونشرها وكان العلم والدين في أوج القوة بحياة اللغة العربية»[8].

٦ / فهم السياق القرآني:

يعتبر السياق القرآني من أبرز القواعد المساعدة على فهم القرآن الكريم وتدبره؛

١/ مقدمة التحرير والتنوير (١/٣٥).

٢/ أثر تدبر القرآن في الفقه المقاصدي، مبارك المصري، ص ١٨.

٣/ الموافقات (٢/١٠٢).

٤/ المرجع السابق (٣/٣١).

٥/ البرهان، الزركشي (١/٣٩٦).

٦/ اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (١/٥٢٧).

٧/ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٦/٧).

٨/ تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١/٢٠).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لأن التدبر هو إمعان النظر والتأمل في سياق الآيات والربط بينها للوصول إلى مدلولها ومقاصدها، فالسياق إعمال للتدبر وأداة لفهم النص؛ لأنه العامل المؤثر بسباقه ولحاقه على تأمل معاني الألفاظ بما يحقق كمال التطبيق لأوامر الشريعة السمحة، بل هو وسيلة من وسائل التوصل إلى مقاصد الشارع ومظان كشفها واستخراجها، كما أنه أصل من أصول التفسير والمعوّل عليه في علم الأصول[1]. يقول **ابن القيم** رحمه الله: «السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوُّع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٩)، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير؟!»[2]. وذكر أيضاً: أن الناس متفاوتون في مراتب الفهم في النصوص، فمنهم من يفهم من الآية حكماً أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه، وهذا باب عجيب في فهم القرآن، لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا، وتعلقه به»[3]. فلابد لمن يريد أن يفهم عن الله كلامه أن يقف على السياق، يقول **مسلم بن يسار**: «إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[4]. وقال **ابن تيمية**: «فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»[5]. وقال أيضاً: «ينظر في كل آية بخصوصها وسياقها وما يبين معناها، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والاستدلال به مطلقاً»[6]. وقال **الشاطبي**: «فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعبّر عنه والمراد به، كما يُعلم من أن السياقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره ليحصل له المقصود منه، فإن فرق النظر لم يتوصل إلى المراد»[7].

١/ أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي، مبارك المصري، ص ١٩.

٢/ بدائع الفوائد (٤/٤١٥).

٣/ إعلام الموقعين (١/٣٥٤)، بتصرف.

٤/ تفسير ابن كثير (١/١٣)، فضائل القرآن، أبو عبيد الهروي، ص٣٧٧.

٥/ مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٩٤).

٦/ المرجع السابق (٦/١٨).

٧/ الموافقات (٣/٤٠٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٧ / معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية:

الوقوف على سبب النزول إذا ثبتت صحته وفهمه في سياقه، من أجلّ القواعد المعينة على تدبر القرآن وفهم معانيه وإسقاطه الصحيح على واقع الحياة، مع وجوب مراعاة القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[١]. والمقصود بسب النزول؛ ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه وقت نزوله أو مبينة لحكمه أيام وقوعه كأن يكون ذلك حادثة وقعت أو سؤالاً وجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام فنزل الوحي لبيان ما يتصل بهذه الحادثة أو بجواب هذا السؤال[٢]، والمتدبر المدرك لأسباب نزول الآيات التي يقرؤها تنمو لدية ملكة الفهم الصائب والاستنباط السليم، والإدراك الواعي لمراد القرآن الكريم فلا يفسر آية بغير وجهها ولا يضع كلمة في غير بابها. قال **ابن تيمية**: «ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يُعرف ما نواه الحالف، رجع إلى سبب يمينه»[٣]. ومن هنا كان لابد من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني، وذلك لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته وغاياته[٤]. قال الإمام **الشاطبي**: «معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن»[٥]، وقال في موضع آخر: (الاعتبار بالقرآن قلّما يجيده إلا من كان من أهله عاملاً به، فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده، كما لم يخرجوا في العمل به والتخلّق بأخلاقه عن حدوده، بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه)[٦]. وقال **ابن دقيق العيد**: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، ومنها أنه قد يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص؛ فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد بالإجماع، ومنها رفع توهم الحصر، ومنها إزالة الإشكال»[٧].

فإذن معرفة سبب النزول يرشد إلى الفهم السليم والمعنى القويم، ويزيل من الذهن اللبس والإشكال، ويعين على الحفظ والاستذكار.

١/ انظر القاعدة في: أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي (١/ ٢٧٣).

٢/ مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (١/ ١٠٦).

٣/ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص ٤.

٤/ في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٢١- ٢١٢٢).

٥/ الموافقات (٣/ ٣٤٧).

٦/ المرجع السابق (٣/ ٨٤٩).

٧/ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ص ١١٦.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٨ / العمل والتطبيق لكل ما تم فهمه من القرآن في واقع الحياة:

هذه قاعدة مهمة تنسحب على الأمة كلها في عصرها الراهن بل في كل عصر؛ لأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، بمعنى أنه لا يُخَصّ بنزوله زمن دون آخر ولا مكان دون آخر ولا جيل دون جيل، وذلك لما تميّز به من العالمية والخاتمية والهيمنة والخلود والشمول. فكان لابد وأن ينتظم الحياة على امتداد العصور والأزمنة وكافة الأمكنة ويواكبها ويحكمها إلى ما شاء الله؛ فتدبر القرآن وفهمه رهين بإنزاله على واقع الأمة ومشكلاتها، فلا جدوى من الفهم المقاصدي إذا لم يُستثمر في واقع الحياة. وهذه بمثابة دعوة لأمة الإسلام اليوم وحتى قيام الساعة للقيام بتفعيل آليات إنزال القرآن الكريم على واقعها ببركاته ونسائم أجوائه العاطرة ومعانيه المشرقة وقدرته الفائقة لمعالجة قضاياها المعضلة ومحنها الراهنة، ولن يصلح حالها إلا بما صلح به حال السلف الأوائل، ولن تعود إلى قيادتها وريادتها وكنزها وعزها إلا بفهم كتاب ربها[١]. قال **ابن عمر**: كان الفاضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في صدر الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به»[٢]. فوجب على الأمة المسلمة في هذا العصر العمل بكتاب الله وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه... «فإن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»[٣].

وخلاصة القول: أنه لابد للفهم المقاصدي من قواعد يتأسس عليها وهي كثيرة، منها: الاستعانة بالله في فهم خطابه مع التجرد والإخلاص والتقوى، ومعرفة القرآن الكريم نفسه والسنة المطهرة وعلومهما، واتباع منهج السلف في فهم القرآن وأبعاده المقاصدية، وإعمال المقاصد واعتبارها في فهم النص القرآني، والإلمام بعلوم اللغة العربية وأساليبها المتنوعة، وفهم السياق القرآني، ومعرفة أسباب نزول الآيات القرآنية، والعمل والتطبيق لكل ما تم فهمه من القرآن في واقع الحياة.

المطلب الثاني: الموانع الصارفة عن الفهم المقاصدي للقرآن الكريم

لا شك أن الفهم المقاصدي وفق ضوابطه العلمية يشكل عاملاً معيناً على تدبر القرآن الكريم في السطور والصدور، ودافعاً مهماً لتنزيله وتطبيقه في واقع الحياة، وعنصراً فعالاً في تحقيق البقاء والارتقاء والشهود الحضاري للأمة الإسلامية. ولكنّ هناك أموراً صارفة عن هذا الفهم

١/ أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي، ص١٨، ١٩.

٢/ تفسير القرطبي (١/٥١).

٣() جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (١/٢٨٣) ح(٣٥٨).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومانعة له من وجوده وتحقيقه لابد من التنبه والحذر منها، نستعرض منها طائفة:

١ / ضعف تعظيم القرآن وهجره والإعراض عن أوامره ونواهيه.

ذكرنا أن سلفنا الصالح عظموا القرآن في قلوبهم وأكرموه برعاية حقوقه والوقوف عند حدوده، حتى صار وليس هناك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى منه عندهم، فرزقوا الفهم السليم والمعنى القويم. قال **عثمان ذو النورين** رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم)[١]. فضعف تعظيم القرآن ناشئ مما في القلوب من علل ودنيا مؤثرة، وهو مانع وعقبة في طريق الفهم والتدبر. فالقلب هو محل الانتفاع، كما قال تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)، وقال سبحانه: (فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج:٤٦). وفي ذات السياق يقول **ابن قدامة**: «وليتخل عن موانع الفهم، ومن ذلك أن يكون مصراً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصورة التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل جلاء المرآة»[٢]. وكذلك من موانع الفهم؛ هجر القرآن بكل صوره وأشكاله، سواء هجر التلاوة أو هجر التدبر والفهم أو هجر العمل والتطبيق لأوامره ونواهيه، أو هجر الاحتكام إليه وتحكيمه عند النزاع. قال تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان:٣٠). وتأمل معي ما قاله **ابن كثير**: «إن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعونه فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره –من شعر أو قول أو غناء أو لهم أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره– من هجرانه»[٣]. وأيضاً من موانع الفهم؛ الإعراض عن أوامر القرآن ونواهيه، قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ) (الأعراف: ١٤٦). والمعنى انزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي[٤]. وفي الاتجاه المقابل مدح

١/ أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، ص٦٨٠. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٠٠)، وإسناده منقطع.

٢/ مختصر منهاج القاصدين، ص ٦٧، ٦٨.

٣/ تفسير ابن كثير (١٠٨/٦).

٤/ المرجع السابق (٤٧٥/٣).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الله تعالى عباده الذين يفطنون لمراده ويفهمون كلامه العزيز، فقال سبحانه: (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً) (الفرقان:٧٣). قال **ابن كثير**: «أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم؛ أي يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعاً له»[1].

٢ / التقصير في النظر والتدبر والوقوف عند جمال الصوت والتلاوة.

فالاكتفاء بالتغني بالقرآن ونداوة الصوت وتحقيق التلاوة وحده دون التدبر في مغازي الآيات القرآنية وما وراءها من حكم وأسرار يمثل عقبة من عقبات الفهم المقاصدي وحائل ساتر بين الإنسان وإدراك رؤية القرآن الكريم لقضايا الوجود. وإن كان جمال الصوت وتحقيق القراءة أمر مهم ومطلوب؛ لأنهما معينان على الفهم والتدبر إلا أن الاقتصار عليهما آفة مضيعة لفهم معاني القرآن. وقد ذكر **رمضان الغريب** وصفاً رائعاً فقال: «وإن آفة الأمة المسلمة- ونحن من أفرادها- أنها شغلت حيناً من الدهر- وما تزال تشغل- بجمال الصوت، وحسن الأداء، على حساب الفهم السليم، والإدراك القويم، وما تراه في واقع الناس، كلهم أو بعضهم، من وقوفهم عند حد الحروف والمطالع، والوقوف والفواصل، لعلامة مرض سرى ويسرى في الأوصال، لقد كان الصحابة وسلفنا الصالح يقف الفرد منهم عند الحدود والحروف وقد يردد الآية مراراً، ويعيدها تكراراً، حتى تعمل في النفس عملها، وتؤدي دورها، كما تؤدي الأدوية الفاعلة في الأمراض المتوطنة عملها، اجتثاثاً وإزالة وهدماً وبناءا، فتغيرت أحوالهم، وتبدلت أعرافهم على مراد القرآن الكريم»[2].

٣ / الغلو والتشدد والتعصب الفكري والمذهبي.

فهذه الأمور الذميمة تقطع على الإنسان طريق الفهم والإدراك، وتجعله يتعامل مع النص بناء على تصورات خاضعة لمذهبه أو نزعته الكامنة في عقله، فيبادر إلى المصادرة على الفهم السليم والإدراك الصحيح، وفي الغلو والتشدد في الدين؛ قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) (آل عمران: ٧٧). وكذلك الجدل المذموم الذي لا يستند إلى علم وفهم يعتبر صارفاً معرفياً عن فهم القرآن الكريم، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ) (غافر:٦٩). وأيضاً التقليد الأعمى والتأثر بالأفكار والأشخاص

١/ المرجع السابق (٧/ ٩٤).

٢/ فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، رمضان خميس زكي الغريب، ص٥٥.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والتعصب بأنواعه المذهبي والعقدي والفقهي والفكري، كلها من صوارف فهم القرآن فهماً سليماً مقاصدياً. وقد وصف الإمام **الغزالي** هذا الذي حال ميله إلى نزعته ومذهبه بينه وبين الفهم بأنه: «شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بُعد، وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه، حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟، فيرى أن ذلك غرور الشيطان، فيتباعد منه، ويحترز عن مثله»[١].

٤ / اتباع الهوى والشهوات والشبهات والمعاصي وسوء الأخلاق.

يعتبر هوى النفس والشهوات واقتراف المحظورات والاتصاف بذميم الأخلاق عائق كبير ومانع خطير للفهم المقاصدي للقرآن الكريم، فمن الناس من يكون اتباعه للهوى في فهمه للقرآن الكريم ناتج عن التهجم على كتاب الله والجرأة عليه بغير علم. قال الله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص:٥٠). وذكر **ابن تيمية** أن: «صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما قاله الله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، فليس قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء»[٢]. وأما عن المعاصي، فإن الله تعالى يقول: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين:١٤). فصاحب المعصية لم يستطع فهم كلام الله تعالى ولن يقدر على تذوق حلاوته. وقال سبحانه: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً) (الكهف: ٥٧). وقال بعض السلف: «أذنبت ذنباً فحُرمت فهم القرآن»[٣].

٥ / عدم استصحاب قواعد التفسير والجهل بالعلوم المعينة على فهم القرآن.

فاتباع الآيات القرآنية المتشابه والاعتماد على الأحاديث الواهية الضعيفة وترك الثابتة الصحيحة والاستعانة بالإسرائيليات في فهم كلام الله تعالى كلها مانعة لصحيح الفهم المقاصدي، إضافة إلى الجهل بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم المساعدة على فهم القرآن وتدبره وإدراك مقاصده. وقد قال **علي بن أبي طالب**، لقاضٍ: «أتعرف الناسخ والمنسوخ؟، قال: الله أعلم. قال: «هلكت وأهلكت»[٤].

١/ إحياء علوم الدين، الغزالي (١/٣٩٨)، مشار إليه «رمضان خميس الغريب في بحثه فهم القرآن»، ص٥٥.

٢/ منهاج السنة النبوية (٥/٢٥٥).

٣/ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص ٤٠٨.

٤/ البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/٢٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٦ / عدم الالتفات إلى مقاصد الشريعة أثناء عملية التفسير.

ومن صوارف الفهم المقاصدي للقرآن الكريم عدم اعتبار مقاصد الشريعة أثناء التدبر والتفسير والاستنباط والتعامل مع القرآن، فإغفالها وعدم الالتفات إليها يعرض المتأمل في كتاب الله تعالى للانحراف في الفهم والتدبر والقصور في الرؤية والتأويل. وقد قال **الشاطبي**: «التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن فلم يحصل لهم التدبر»[١]. وقال أيضاً: "... وكذلك من وقف مع مجرد الظاهر غير ملتفت إلى المقاصد، فإنه يكون قد قصر في فهم مراد الله، وكذا ما ابتدعه المشبهة والمعطلة في آيات الصفات، يعود إلى هذا الخلل في فهم مقاصد القرآن، ومراد الله من خطابه"[٢]. وكما أشرت سابقاً أن الفهم الأمثل للنصوص الشرعية كلها يتوقف على معرفة مقاصد الشريعة.

١/ الموافقات (٣/٣٨٣).

٢/ المرجع السابق (٣/٣٩٠).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

أثر الفهم المقاصدي للقرآن على الأمة، ونماذج تطبيقية للتفسير المقاصدي

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أثر الفهم المقاصدي للقرآن على الأمة الإسلامية

باتت قضية فهم القرآن بين النص والواقع في ضوء المقاصد ضرورة عصرية وسنة حياتية قبل أن تكون شعيرة دينية، لأن المتفاعل مع القرآن بفهم السلف الأخيار بإمكانه أن يحقق الإصلاح والاستخلاف في الأرض؛ لأنه أهلاً لهذا التكليف ومحلاً لهذا التشريف. فصلاح الحياة بصلاح النفوس وصلاح النفوس بتفهمها للقرآن الكريم فهماً مقاصدياً صحيحاً يرتبط بالأصل ويتصل بالعصر.

وقد حدد **الشاطبي** الإطار التاريخي لنزول القرآن بالمقاصد والقواعد العامة بقوله: «فالضروريات الخمس كما تأصّلت في الكتاب تفصّلت في السنة... وإذا نظرت إلى الحاجيات اطّرد النظر أيضاً فيها على ذلك الترتيب أو نحوه، فإن الحاجيات دائرة على الضروريات. وكذلك التحسينات. وقد كملت قواعد الشريعة في الكتاب والسنة، فلم يتخلف عنها شيء، والاستقراء يبين ذلك، ويسهل على من هو عالم بالكتاب والسنة»[1]. وقال أيضاً: «وذلك أن القرآن أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلباً لها، والتعريف بمفاسدها دفعاً لها»[2].

وبناء عليه، فإن أثر الفهم المقاصدي للقرآن الكريم على الأمة الإسلامية يمكن أن ألخصه في محور واحد هو الإصلاح؛ إصلاح الأمة في مختلف شؤون حياتها، إصلاحها في أحوالها الدينية والأخروية، وإصلاحها في أحوالها الدنيوية؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والأخلاقية والعلمية والأمنية. وهذا مقصد قرآني عظيم أشار إليه علماء المقاصد القدامى والمعاصرون. قال **ابن عاشور** رحمه الله: «إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم؛ لتبليغهم مراد الله، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية. فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من

١/ المرجع السابق (٤/٢٠).

٢/ المرجع السابق، نفس الصفحة.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الصلاح الفردي؛ إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد عن ذلك وهو ضبط تصرفات الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك؛ إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ويرعى المصالح الكلية الإسلامية، ويحفظ المصلحة الجامعة عن معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع. فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً، وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه، فقال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩)»[١].

والمفهوم العام للإصلاح هو اتباع طريق الحق واستقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع. وأما مفهومه في الرؤية القرآنية فهو العودة إلى الفطرة الإلهية، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: ٣٠)، قال **مجاهد**: (فِطْرَةَ اللَّهِ): هي الإسلام[٢]. وهذا الإصلاح هو وظيفة المبلغين عن الله من الأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين، قال تعالى على لسان خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود: ٨٨). فالإصلاح يدور حول القصد الصادق وفهم كلام الله تعالى وتوفيقه، قال سبحانه: (إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) (النساء: ٣٥).

ولما كان القلب محلاً لتلقي القرآن كما قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤)، ومحلاً للفهم كما مر بنا أن الفهم هو معرفة الشيء بالقلب؛ فإن القلب هو المقصود بالإصلاح أولاً كما في الحديث: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[٣]. فحياة القلوب الإيمان، والإيمان لا يتأتى إلا بتدبر كلام الله تعالى وفهمه وإنزاله على الواقع والتخلق بأخلاقه ومراعاة حقوقه وتعظيمه في القلوب، ولذا فوظيفة المصلحين تنطلق من الفهم التام للقرآن فهماً مقاصدياً صحيحاً، لتحقق الغاية الأساسية الكبرى وهي

١/ التحرير والتنوير (١/ ٣٨- ٤١).

٢/ جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٠/ ٩٧).

٣/ حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٩) ح(٥٢)، مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٢٠) ح(١٥٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

جلب المصالح وتكميلها ودفع المفاسد وتقليلها. فالشريعة مبناها على مقصدين: تحقيق عبودية الخالق، وتحصيل مصلحة المخلوق.

فالأمة اليوم بما تعيشه من محن واستهداف في عصر التغيرات والانفتاح في أمس الحاجة إلى محور الإصلاح الشامل لأمور الدين والدنيا والآخرة. ففي الحديث كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو ربه قائلاً: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)[1]. ولا سبيل لإصلاح حال الأمة إلا بفهم القرآن في ضوء مقاصد الشرع على نهج السلف؛ ولن يصلح حال آخرها إلا بما صلح به أولها.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في توظيف مقاصد الشريعة لفهم القرآن «التفسير المقاصدي»

يعد مصطلح «التفسير المقاصدي» من المصطلحات الحديثة التي ظهرت لدى المعاصرين ولم يكن لها تأصيل في السابق، لكنه –أي التفسير المقاصدي- هدف ومغزى لكل مجتهد مفسر مدرك لهدايات القرآن الكريم. ومفهوم التفسير المقاصدي: "هو ذلك التفسير الذي يبحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم وتوسيع دلالاتها اللغوية، مع بيان الحِكَم والغايات التي أنزل من أجلها القرآن وشرعت من أجلها الأحكام"[2].

وهذا التفسير المقاصدي أو بيان المقاصد عند التفسير لم يتعرض إليها أهل التفسير القدامى بتفصيل، وإنما بيّنوها على وجه الإجمال. أما المتأخرون فقد اهتموا بمقاصد القرآن وتفصيلها، وهذه المقاصد مبثوثة في كل الآيات القرآنية، وليست محصورة في آيات الأحكام، كما يزعم البعض. قال **ابن عاشور**: «معاني القرآن الكريم ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته، فالأحكام مبينة في آيات الأحكام والآداب في آياتها والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنَّيْن من ذلك أو أكثر»[3].

وفيما يلي أسوق نماذج من توظيف المقاصد في فهم القرآن وتدبره عند المفسرين:

أولاً: إشارات بعض المفسرين لمقاصد القرآن الكريم:

أ/ قال الفخر الرازي في تفسيره متناولاً مقاصد القرآن الكريم: «المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: (الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر). واستخرجها

1/ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٨٧/٤) ح(٢٧٢٠)، الطبراني في معجمه الأوسط (١٩٩/٧) ح(٧٢٦١).

2/ الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، رضوان الأطرش، ونشوان عبده قائد، ص ١٣.

3/ التحرير والتنوير (٨/١).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

من سورة واحدة وهي سورة الفاتحة، حيث قال: فقوله: (الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة:٢)، يدل على الإلهيات، وقوله: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) (الفاتحة:٤)، يدل على نفي الجبر، وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: (اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ) (الفاتحة:٦) إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التي هي المقصد الأعظم من القرآن"[١].

ب/ قال الآلوسي في تفسيره لسورة الكافرون: «لعل الأقرب أن يقال إن مقاصد القرآن التوحيد والأحكام الشرعية وأحوال المعاد والتوحيد عبارة عن تخصيص الله تعالى بالعبادة، وهو الذي دعا إليه الأنبياء عليهم السلام أولا بالذات، والتخصيص إنَّما يحصل بنفي عبادة غيره تعالى وعبادة الله عز وجل، إذ التخصيص له جزآن النفي عن الغير والإثبات للمخصص به، فصارت المقاصد بهذا الاعتبار أربعة. وهذه السورة تشتمل على ترك عبادة غيره سبحانه والتبري منها فصارت بهذا الاعتبار ربع القرآن، ولكونها ليس فيها التصريح بالأمر بعبادة الله عز وجل، كما أن فيها التصريح بترك عبادة غيره تعالى لم تكن كنصف القرآن، وقيل: إن مقاصد القرآن صفاته تعالى والنبوات والأحكام والمواعظ وهي مشتملة على أساس الأول وهو التوحيد ولذا عدلت ربعه«[٢].

ج/ حدد الشيخ محمد رشيد رضا مقاصد القرآن الكريم في عشرة مقاصد رئيسة، حيث قال: »المقصد الأول: بيان أركان الدين؛ التوحيد والبعث والجزاء والعمل الصالح. الثاني: بيان شؤون النبوة والرسالة ووظائف الرسل. الثالث: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والفقه والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال. الرابع: بيان الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثمان: وحدة الأمة، وحدة الجنس البشري، وحدة الدين، وحدة التشريع بالمساواة في العدل، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد، وحدة الجنسية السياسية الدولية، وحدة القضاء وحده اللغة .الخامس: بيان مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة. السادس: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي نوعه وأساسه وأصوله العامة. السابع: بيان الإصلاح المالي. الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وفلسفتها. التاسع: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية. العاشر: بيان هداية الإسلام في تحرير الرق«[٣].

١/ التفسير الكبير (١/١٤٥).
٢/ روح المعاني (٣٠/٢٥٠).
٣/ تفسير المنار (١١/١٧١) وما بعدها.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثانياً: بعض أنواع المقاصد في كلام المفسرين:

أ/ مقصد العبودية والإخلاص:

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الأنعام: ١٠٢)، «أي: إذا استقر وثبت، أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقصدوا بها وجهه، فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خلقوا لأجله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ)[١]. وهذا ما أكده شيخ المقاصد الإمام الشاطبي بقوله: «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبدٌ لله اضطراراً»[٢].

ب/ مقصد التخفيف والتيسير ورفع الحرج والمشقة عن الأمة:

قال ابن العربي في تفسير قوله تعالى: (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ من بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل: ١٠٦): «المسألة الرابعة: إن الكفر وإن كان بالإكراه جائزاً عند العلماء، فإن من صبر على البلاء ولم يفتتن حتى قتل فهو شهيد، ولا خلاف في ذلك، وعليه تدل آثار الشريعة التي يطول سردها، وإنما وقع الإذن رخصة من الله رفقا بالخلق وإبقاء عليهم ولما في هذه الشريعة من السماحة ونفي الحرج ووضع الإصر»[٣]. وفسر قوله تعالى: (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) (الأنفال: ٣٨)، فقال: «المسألة الثانية؛ قال علماؤنا: هذه لطيفة من الله سبحانه منّ بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي، ويرتكبون المآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبداً توبة، ولا نالتهم مغفرة، فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفاً على الملة، وترغيبا في الشريعة، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا»[٤]. والمقرر عند **ابن العربي** من خلال تفسيره أنه قال: «والتنفير مفسدة للخليقة ،والتيسير مصلحة لهم»[٥]. وهذه قاعدة عظيمة تؤكد اعتباره لمقاصد الشريعة وتوظيفها لفهم القرآن الكريم وتفسيره.

١/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٦٨/١).

٢/ الموافقات (١٤١/٢).

٣/ أحكام القرآن (١٦٢/٣).

٤/ المرجع السابق (١٠٢/٢).

٥/ المرجع السابق (٣٩٨/٢).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ج/ مقصد البحث العلمي في الكون بالنظر العقلي:

تأمل معي إلى ما قاله الشيخ محمد رشيد رضا: «... فمن أراد أن يزداد علماً فليطلبه من البحث في الكون، وعليه بدراسة ما كتب الباحثون فيه من قبل، وما اكتشف المكتشفون من شؤونه، وليأخذ من ذلك بما قام عليه الدليل الصحيح لا بما يتخرص به المتخرصون ويخترعونه من الأوهام والظنون، وحسبه أن الكتاب أرشده إلى ذلك وأباحه له. ... ولذلك جاء القرآن يلح أشد الإلحاح بالنظر العقلي والتفكر والتدبر والتذكر، فلا تقرأ منه قليلاً إلا وتراه يعرض عليك الأكوان، ويأمرك بالنظر فيها واستخراج أسرارها، واستجلاء حكم اتفاقها واختلافها، (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (يونس: ١٠١)، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) (العنكبوت: ٢٠)، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: ٤٦)، (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (الغاشية: ١٧) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً، وإكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به، ومن فوائد الحث على النظر في الخليقة للوقوف على أسرارها بقدر الطاقة واستخراج علومها لترقية النوع الإنساني الذي خلقت هي من أجله»[1].

وهذه النماذج المذكورة تعطي إشارة واضحة إلى أن أهل التفسير يلتفتون دائماً إلى هذه المقاصد بتضمينها في تفاسيرهم لتوسيع المعنى القرآني وتسديده، ولو تتبع الباحث كتب التفاسير لوجد ذلك ظاهراً جلياً.

خاتمة البحث:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم وأبارك على نبينا محمد أفضل المخلوقات، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

وفي خاتمة هذا البحث الذي تناول حقيقة الفهم المقاصدي للقرآن الكريم وأهميته وقواعده وموانعه وأثره في إصلاح الأمة وتوظيفه في تفسير القرآن وتدبره، يتم رصد أهم نتائجه وتوصياته بغية الاستفادة منها في العلم والعمل:

أوّلاً: النتائج:

- المراد بالفهم المقاصدي للقرآن –في رأيي- هو الفهم المستنير للقرآن الكريم في ضوء المقاصد القرآنية المعتمد على قواعدها المستثمر لفوائدها.

1/ تفسير المنار (١/٢٠٨).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- تظهر أهمية الفهم المقاصدي للقرآن الكريم في الكشف عن محاسن القرآن وأهدافه وما يحويه من هداية ومصالح للمكلفين، والإعانة على تفسير القرآن وتيسير فهمه وتدبره واستنباط أحكامه وحِكَمه، والترجيح والتوفيق بين المتعارضين، والعصمة من الوقوع في الزلل، وإزالة آثار الخلاف والتعصب.
- للفهم المقاصدي القرآني قواعد ضابطة؛ منها: اتباع منهج السلف في فهم القرآن وأبعاده المقاصدية، وإعمال المقاصد واعتبارها في فهم النص القرآني، والإلمام بعلوم اللغة العربية وأساليبها المتنوعة، وفهم السياق القرآني، ومعرفة أسباب نزول الآيات القرآنية، والعمل والتطبيق لكل ما تم فهمه من القرآن في واقع الحياة.
- تتلخص الموانع الصارفة عن الفهم المقاصدي للقرآن الكريم في ضعف تعظيم القرآن وهجره والإعراض عن أوامره ونواهيه، والتقصير في النظر والتدبر والوقوف عند جمال الصوت والتلاوة، والغلو والتشدد والتعصب الفكري والمذهبي، واتباع الهوى والشهوات والشبهات والمعاصي وسوء الأخلاق، وعدم استصحاب قواعد التفسير، والجهل بالعلوم المعينة على فهم القرآن، وعدم الالتفات إلى مقاصد الشريعة أثناء عملية التفسير.
- يترك الفهم المقاصدي للقرآن أثراً واضحاً في الأمة لو ترجم إلى واقعها بياناً بالعمل والتطبيق يتمثل في الإصلاح؛ إصلاح الأمة في مختلف شؤون حياتها، إصلاحها في أحوالها الدينية والأخروية، وإصلاحها في أحوالها الدنيوية؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والأخلاقية والعلمية والأمنية.

ثانياً: التوصيات:

- التأكيد على العناية بقضية الفهم المقاصدي للقرآن والعمل وفق ضوابطها في استنباط الأحكام والحِكَم من القرآن الكريم.
- نشر ثقافة الفهم المقاصدي للقرآن الكريم وضوابطه والتحذير من معوقاته عبر وسائل الإعلام وأجهزة التواصل بأنواعها المختلفة من أجل إصلاح وبقاء وارتقاء الأمة الإسلامية.
- يوصي البحث بضرورة اهتمام معلمي القرآن الكريم في دور التحفيظ كالمراكز الجامعية والمدارس القرآنية والخلاوى وغيرها بقضية الفهم والتدبر مثل اهتمامهم بقضية

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التحفيظ والتلقين؛ لأن حفظ نصوص القرآن ليس مقصوداً لذاته، خاصة وقد تكفل الله بحفظه، أما شعيرة الفهم والتدبر فهي مقصودة لذاتها ولأجلها أنزل القرآن الكريم.

وهذا ما يسر الله لي تدوينه، وأسأله تبارك وتعالى أن يبرم لأمة الإسلام أمر رشد واعتصاماً بحبله المتين ونهجه القويم إنه سميع عليم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أثر تدبر القرآن الكريم في الفقه المقاصدي: مبارك المصري النظيف، بحث مقدم في مؤتمر تدبر القرآن الكريم، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، الدوحة، يوليو ٢٠١٣م.

٢. أساس البلاغة: أبو القاسم الزمخشري، دار صادر، بيروت.

٣. أصول الفقه الإسلامي: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، إعادة الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٤. الاجتهاد المقاصدي حجيته. ضوابطه .مجالاته: نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة، العدد ٦٥، جمادى الأولى، السنة الثامنة عشر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦. الإدراك المقاصدي محدد من محددات تدبر القرآن الكريم: محمد المنتار، بحث مقدم في مؤتمر تدبر القرآن الكريم، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، الدوحة، يوليو ٢٠١٣م.

٧. الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور آل سليمان، الدار الأثرية، عمان ن الأردن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، مكتبة اليمان، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٩. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ط أولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط١، ١٣٠٦هـ.

١١. التبيان في آداب حملة القرآن: أبو زكريا يحي بن شرف النووي، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم، ط٣، ١٤١٤ه/١٩٩٥م.

١٢. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

١٣. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير": أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.
١٥. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
١٦. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٢٠ه/٢٠٠٠م.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن"تفسير الطبري": أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت.
١٩. الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي": أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢٠. الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم: رضوان جمال الأطرش، ونشوان عبده خالد قائد، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، مارس، ٢٠١١.
٢١. درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٢. روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣. سنن أبي داود: تحقيق مصطفى البغا، دار القلم، دمشق، ط٢، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢٤. سنن الترمذي: مطبوع مع "تحفة الأحوذي"، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٥. صحيح البخاري: أبو عبد الله البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٢٦. صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحي النووي، تحقيق الشيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٢٧. طرق الكشف عن مقاصد الشارع: نعمان جغيم، دار النفائس، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٢٨. العقل وفهم القرآن: الحارث بن أسد المحاسبي، قدم له وحقق نصوصه حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩١ه/١٩٧١م.
٢٩. علم مقاصد السور: محمد عبد الله الربيعة، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة.
٣١. الفتيا في النوازل في المذهب المالكي، الأصول والضوابط والآثار، مبارك المصري النظيف، بحث مقدم في مؤتمر الإمام مالك، الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية، ليبيا، ٢٠١٣م.
٣٢. فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٣. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، خرج أحاديثه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٧٧.
٣٤. فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة، رمضان خميس زكي الغريب، بحث مقدم إلى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، العدد الخامس والعشرون، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٣٥. الفوائد: أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٣م.
٣٦. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة،١٣٩١هـ/١٩٧١م.
٣٧. القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٨. لسان العرب: محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م.
٣٩. الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.
٤٠. كيف نتعامل مع القرآن الكريم: يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
٤١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٢ه.
٤٢. مختار الصحاح: الرازي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٤٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة الوقفية، القاهرة، مصر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٤٤. مدخل إلى مقاصد الشريعة: أحمد الريسوني، المكتبة السلفية، ط١٤١٧،١هـ/ ١٩٩٦م.
٤٥. المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، الطبعة الميمنية، القاهرة، ١٣١٣هـ.
٤٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد المقري الفيومي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.
٤٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت،١٤١١هـ.
٤٨. مفاتيح الغيب "تفسير الرازي": فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤٩. مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، عمان، الأردن، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١.
٥٠. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة، الرياض، ط١، لسنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٥١. مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً: محمد بكر إسماعيل حبيب، إدارة الدعوة والتعليم، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية والعشرون، العدد (١٢٣)، ١٤٢٧هـ.
٥٢. مقاصد الشريعة ومكارمها: علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م.
٥٣. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية، الرياض، ط٤، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٤. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٥٥. مقدمة أصول التفسير: ابن تيمية، بتحقيق إبراهيم بن محمد ،ط: دار المؤيد، ط. أولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٥٦. من أعلام الفكر المقاصدي: أحمد الريسوني، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥٧. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، بدون.
٥٨. الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي، دار ابن القيم للنشر، الرياض، ط٣، ٢٠٠٩.
٥٩. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بحث بعنوان
الإعجاز القرآني في التنمية البشرية

إعـداد: د.قمر محمد بخيت ماجي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعجز بترتيله البشر وتحدي به أساطين الفصاحة والبلاغة ، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين وعلي آله وصحبه أجمعين وعلى من دعى بدعوته إلي يوم الدين .

الإعجاز القرآني في التنمية البشرية

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث لإظهار الإعجاز القرآني في التنمية البشرية من حيث تكريمه للإنسان وتوفير مقومات الحياة الكريمة له وسبل تطويره وترقيته في مدارج الكمال . واستخدم البحث المنهج الوصفي في مناقشة الأسئلة المنبثقة عن مشكلة الدراسة ، وذلك بالاستفادة من أدبيات التنمية ، وإستقراء الآيات القرآنية التي تناولت موضوع التنمية البشرية في الإجابة علي تلك الأسئلة .وخلص البحث علي عدد من النتائج والتوصيات .

من أهم النتائج ما يلي :

١. .القرآن الكريم منهج حياة وضع قواعد وأسس ومقومات للتنمية البشرية شاملة ومتكاملة

٢. التنمية في القرآن الكريم مفهوم شامل ، يشمل الإنسان بكل مكوناته الذاتية والاجتماعية وبيئته الخارجية

٣. يظل القرآن معجزة خالدة لا تنقضي عجائبه فقد وضح وبين أسس ومقومات التنمية البشرية منذ خمسة عشر قرناً ، وقد فطن علماء التنمية البشرية في الخمسين سنة الأخيرة من القرن العشرين لهذا الموضوع . (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك : ٤١)

١/ أ.مساعد - كلية العلوم الإدارية - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية -السودان

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهم التوصيات

١. أن يجتهد الإنسان في تنمية نفسه بما يصلح دنياه وأخراه مستقلاً كل ما سخره الله له من الوسائل علي هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٢. تطبيق الدول والحكومات مبادئ العدل والمساوة والحرية والشورى مما يحقق الأمن النفسي والاجتماعي ويتيح للإنسان التفرغ لتنمية مهاراته وتطوير قدراته وتنمية مجتمعه .

٣. أن يوجه الباحثين أبحاثهم إلي دراسة الموضوعات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي تناولها القرآن الكريم .

الكلمات المفتاحية :

الإعجاز القرآني ،المعجزة ، التنمية البشرية ، الاستخلاف ، التسخير .

المقدمة

الإعجاز القرآني له وجوه مختلفة ومتعددة ، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شئ من إعجازاته واخباراته ، مما يشكل دليلاً علي وحدانية الله سبجانه وتعالي . فالقرآن الكريم ليس كتاب شعائر وعبادة فحسب ، بل إنه منهج للحياة وأساس للحضارة ، اشتملت آياته علي كل ما ينمي البشر تنمية شاملة ، من حيث تنمية مهاراتهم ورفع قدراتهم ، للتعامل مع البيئة المحيطة بهم المسخرة لهم ، المطلوب منهم إعمارها وحسن استغلالها بما يحقق النفع العام ، تحقيقاً لخلافة الله في الأرض ، مقرونة بعبوديته .

مشكلة البحث :

تتمثل في السؤال الرئيس ما أوجه الإعجاز القرآني في التنمية البشرية ؟. وتتفرع عنه الأسئلة التالية

١. ما مفهوم الإعجاز القرآني ؟ وما غايته ؟ وما هي وجوهه ؟ وما مظاهره ؟
٢. ما مفهوم التنمية البشرية ؟ وما هي مقوماتها وأسسها ؟
٣. ما مقومات التنمية البشرية وأسسها في القرآن الكريم ؟

أهداف البحث :

١. توضيح مفهوم الإعجاز القرآني
٢. توضيح مفهوم التنمية البشرية
٣. استنباط مقومات وأسس التنمية البشرية في القرآن الكريم
٤. توجيه أنظار المسلمين إلي تدبر القرآن الكريم والاستفادة منه في دينهم ودنياهم

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهمية البحث :

١. يستمد هذا البحث أهميته من الموضوع إذ يشكل العنصر البشري مصدر تقدم الأمم ومكمن قوتها ونهضتها
٢. حسب علم الباحث إن هذه الدراسة الأولى من نوعها .
٣. تظهر أهمية هذه الدراسة في اعتمادها علي القرآن الكريم واستقراء أسس ومقومات التنمية البشرية من آياته .

منهج البحث :

تعتمد الدراسة علي المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة الأسئلة المنبثقة عن المشكلة ، وذلك بالاستفادة من أدبيات التنمية البشرية ، واستقراء الآيات القرآنية لاستخراج أسس ومقومات التنمية البشرية من آيات القرآن الكريم وتوظيفهما في الإجابة علي أسئلة الدراسة .

طرق جمع المعلومات :

اعتمد هذا البحث بصفة أساسية علي القرآن الكريم ومن ثم المعلومات الثانوية المتوفرة في الكتب .

هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة تحدد مشكلته ، وتطرح أسئلته وتبين أهميته وأهدافه ومنهجه ، يليها محورين أولهما: يتناول الإطار النظري للدراسة ، ويناقش الثاني أسس ومقومات التنمية البشرية في القرآن الكريم . ثم خاتمة البحث التي تتضمن أهم نتائجه وتوصياته .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الإطار النظري

أولاً : الإعجاز في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد ، المنزل علي نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ، المعجزة الباقية ما بقيت الحياة ، إنه حجة الله علي خلقه ، فهو دستور الأمة الشامل ، ضم بين دفتيه منهاجاً كاملاً وشريعة ثابتة لحياة المسلمين ، صالحة التطبيق لكل زمان ومكان ، فهو يعالج بناء الإنسان وتنمية شخصيته وعقله وطريقة تفكيره ، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني بحيث يحسن البشر استغلال الموارد المسخرة لهم أفضل استغلال لتحقيق النفع العام للإنسانية كافة.

مفهوم الإعجاز .

مفهوم الإعجاز في اللغة : الجذر اللغوي للكلمة هو الفعل الثلاثي (ع ج ز) ومن معاني العجز أنه نقيض الحَزْم . والضعف، واتعجيز : التثبيط ، عجز عن الأمر : قصر عنه .[١] ويأتي بمعني الضعف ، ومؤخر الشئ ، ومعنى الأول من عجز فهو عاجز واسم المفعول معجوز ، أي ضعيف . ومعنى الثاني من أعجز فهو عاجز ، واسم المفعول مُعجِزٌ : أي مؤخر الشئ .والعجوز المرأة الطاعنة في السن التي تعجز عن كثير من الأعمال . والعجز هو التأخر عن الشئ ، وصار في التعارف اسم عن القصور عن فعل الشئ وهوضد القدرة أي الضعف والتأخر[٢] .

مفهوم إعجاز القرآن في الاصطلاح :

كلمة إعجاز مصدر وإضافتها للقرآن الكريم من إضافة المصدر لفاعله ، فكأن التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله ، ومعني هذا أن القرآن الكريم دل بما فيه من بيان علي أنه من عند الله ، وثبت عجز الناس أن يأتوا بمثله[٣].

وقد عرفه القاضي عبدالجبار بقوله : معنى قولنا في القرآن أنه معجز أنه يتعذر علي المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به [٤].

ويقول مصطفي صادق الرافعي : إنما الإعجاز شيئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة

١/ابن منظور ، لسان العرب (عمان : دار صادر ، د . ت) مادة عجز .

٢/ محمد رضا ' معجم متن اللغة ، المجلد الرابع مادة عجز (

٣/ حسن عباس ، إعجاز القرآن ، (القاهرة : الشركة المتحدة للتسويق والتوريد ، ٢٠٠٨م) ص ١٥.

٤/ محمود سالم عبيدات ، (عمان : دار عمار للنشر ، ١٩٩٠م) ص ٢١٣ . من (القاضي عبد الجبار الهمداني ، المغني في أبواب التوحيد ، والعدل ، ١٦ / ٢٢٦)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المعجزة ، ومزاولتها علي شدة الإنسان واتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف علي تراخي الزمن وتقدمه . فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت [١].

تعريف المعجزة لغة :

المعجزة واحد معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وأعجاز الأمور : أواخرها [٢]

وقد عرف العلماء المعجزة لغة : وهي إثبات العجز والضعف والتعجيز: التثبيط

تعريف المعجزة اصطلاحاً :

١. أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي سالم من المعارضة يجريه الله علي يد النبي تصديقاً له في دعوى الرسالة .ومعنى الخارق للعادة الذي لا يعلل بأسباب مادية [٣] وهي:إما حسية أو عقلية.

٢. امر يعجز البشر مجتمعين ومتفرقين عن الأتيان بمثله ، أو هي أمر خارق للعادة ، خارج عن حدود الأسباب المعروفة ، يخلقه الله سبحانه وتعالي علي يد مدعي النبوة عند دعواه أياها شاهداً علي صدقه [٤].

وقد عرف العلماء الإعجاز بقولهم : إثبات عجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثله -من كل وجوه الإعجاز سواء البيانية أو الإخبار بالمغيبات أو غيرها- وإن معجزات الأنبياء انتهت بانقضاء أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء من إعجازاته و إخباراته مما يدل على صحة دعواه ، تحدى القرآن المشككين بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، فعجز عن ذلك بلغاء العرب، وأذعنوا لبلاغته وبيانه وشهدوا له بالإعجاز، وما زال التحدي قائما لكل الإنس والجن[٥]

قال عزوجل :(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).(هود: ١٣)

١/ المرجع نفسه والصفحة نفسها ، من (مصطفي صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ١٣٩ . (

٢/ ابن منظور ، مصدر سبق ذكره ، مادة عجز

٣/ محمد سالم عبيدات ، مرجع سبق ذكره ،.(من الاعجاز في علوم القرآن القرطبي ص ص ٢٠١ - ٢٠ (

٤/محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج٢ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٨) ص ٣٤٢ .

(http://www.wikipida.0rg.wiki)

http://www.wikipida.0rg.wik)(2) 5

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقوله تعالي : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً). (الإسراء : ٨٨)

أو حتى بسورة قصيرة مثله فقال عز من قائل : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ). هود : ١٣)

وبقي ذلك التحدي قائماً، منذ ذلك الوقت ليومنا الحاضر (٢٠١٥) وقال العلامة ابن خلدون: الإعجاز تقصر الإفهام عن إدراكه وإنما يدرك بعض الشيء منهُ من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه [١].

الغاية من الإعجاز :

ليس المقصود بالإعجاز إثبات العجز للخلق لذاته ، من غير ترتبٍ مطلبٍ على هذا العجز ، بل المقصودُ لازمُ هذا الإعجاز وهو: الحجة على أن هذا الادعاء حق وأن الرسول الذي جاء به رسولُ صدقٍ ، فينتقل اقامة الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر ، لحكمة عالية وهي : إرشادهم إلى تصديق من جاء به ليسعدوا في الدنيا والآخرة [٢].

بعض جوانب الإعجاز في القرآن الكريم :

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم غير متناهية ، وعليه يري كل متدبر منها حسب سلامة فطرته وقوة بصيرته ، فقد يدرك الباحث وجهاً من وجوه الإعجاز لا يدركه غيره ، بينما يدرك أهل عصر ما لا يدركه غيرهم في عصر من العصور .

يقول الزرقاني الناظر لهذا الكتاب الكريم بإنصاف تتراءي له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز كما تتراءي للناظر إلي قطعة الماس ألوان متعددة عجيبة بتعدد ما فيها من زوايا وأضلاع ،ومختلفة باختلاف ما يكون عليه الناظر وما تكون عليه قطعة الماس من الأوضاع ،[٣]

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

ذكر االزرقاني أربعة عشر وجهاً كما يلي :[٤]

١- لغته وأسلوبه ٢ - طريقة تأليفه ٣ - علومه ومعارفه ٤ - وفاؤه بحاجات البشر ٥

١/ www.masray.com يوليو ٢٠١١م .

٢/ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤٢ .

٣/ محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ ، ط٣ (بيروت: دار الفكر ، ١٩٨٨) ص ٧٣.

٤/ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- موقف القرآن من العلوم الكونية ٦ – سياسته في الإصلاح ٧ - أنباء الغيب فيه ٨ - آيات العتاب ٩ - ما نزل بعد طول انتظار ١٠ - مظهر النبي عند نزول االوحي ١١ - آية المباهلة ١١ - عجز الرسول عن الإتيان ببدل له ١٢ - الآيات التي تجرد الرسول عن نسبة القرآن إليه ١٣ - تأثير القرآن ونجاحه

وقد جاء في كتاب الزركشي عدداً من وجوه إعجاز القرآن ذكرها ثم ذكر رأي العلماء فيها، منها ما يلي : [١]

١. أن وجه الإعجاز راجع على التأليف الخاص به ، لا مطلق التأليف ، وهو بين اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة ، وعلت مركباته معنى ، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعني واختاره ابن الزملكاني في البرهان.

٢. ما فيه عن الإخبار عن الغيوب المستقلة ، ولم يكن ذلك من شأن العرب ، كقوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب) (الفتح : ١٦) وقوله في أهل بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) القمر : ٤٥) وقوله : (ألم غلبت الروم) (وغير ذلك مما أخبر به بأنه سيقع فوقع .

وذكر الزركشي بأن هذا القول مردود لأنه يستلزم الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها . وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها

٣. ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين ، حكاية من شاهدها وحضرها ، وقال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) هود : ٤٩

وقد رد الزركشي هذا لوجه

٤. إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل .، كقوله عز وجل : (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) (آل عمران : ١٢٢) وقوله (إذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله) المجادلة : ٨

٥. وصححه ابن عطية وقال : إنه الذي عليه الجمهور والحذاق – وهو الصحيح في نفسه وأن التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شئ علما ، وأحاط بالكلام كله علما ؛ فإذا ترتبت اللفظة من القرآن

١/أبوبكر الباقلاني ، إعجاز القرآن (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٨) ص ٥٠

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

علم بإحاطته ، أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، ويتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلي آخره . والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الدرجة القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال : إن العرب كان في قدرته الإتتيان بمثله ، فلما جاءهم النبي صلي الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه .

٦. وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب ، وغير ذلك مقترناً بالتحدى ، واختاره الإمام فخر الدين وهو قريب مما سبق

٧. ما فيه من النظم والتأيف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ، ومباين لأساليب خطاباتهم ، واختاره القاضي أبو بكر قال ولهذا لم يمكنهم معارضته

٨. إنه شئ لا يمكن التعبير عنه – وهو اختيار السكاكي حيث قال في مفتاح العلوم واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها

٩. إن الإعجاز فيه ممن حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا توجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر ، وكلام العرب وما تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع انحائها في العالي منه إلا في الشئ اليسير المعدود ،

١٠. إن وجهاً من وجه البلاغة ، لكن لما صعب عليهمم تفصيلها صغوا فيها إلي حكم الذوق والقبول عند النفس

وخلاصة القول : أن التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شئ علماً ، وأحاط بالكلام كله علماً ؛ فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته ، أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ، ويتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلي آخره . والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الدرجة القصوى من الفصاحة

كما أن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا توجد له فترة ، ولا يقدر عليه أحد من البشر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وذكر القاضي أبوبكر الباقلاني أن أصحابه ذكروا ثلاثة وجوه للإعجاز هي :[١]

الوجه الأول : يتضمن الإخبار عن الغيوب : والثاني بالرغم من أن النبي أمي فقد جاء بما حدث من عظيمات الأمور من حين خلق آدم إلي مبعثه مصداقاً لقوله عز وجل : (و ما كنت تتلو قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) (العنكبوت : ٤٨) الوجه الثالث بلاغة نظمه وتأليفه .

وخلاصة القول أن من أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم الآتي :

١.الإعجاز اللغوي:

وهو أن القرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج من سنن كلامهم الفاظاً وحروفاً وتركيباً وأسلوباً .

٢.اعجاز الهداية :

هو أن هذا الدين هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها [٢]وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين لما فيه من الدلائل العقلية علي التوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله سبحانه وتعالي وبيان نعوت جلاله . وما جاء فيه من الشرائع مطابقة للعقول [٣].

٣.الإعجاز الغيبي :

وينقسم إلى ثلاثة أقسام على حسب عصر النبوة : غيب الماضي وغيب الحاضر، وهو عصر النبوة، وغيب المستقبل [٤] ومن أمثلته انتصار الروم علي الفرس بعد هزيمتهم (ألم غلبت الروم في أدني الأرض) (الروم : ١،٢)

٤.الإعجاز التشريعي :

ويعني أن الشريعة الإسلامية جاءت بتشريعات تصلح لكل زمان ومكان فهي تجمع بين الثبات والتطور .كما تجمع بين المقاصد الدنيوية والمقاصد الأخروية .[٥]

ثانياً : التنمية البشرية :

تمثل الموارد البشرية قوة العمل القادرة علي النهوض بالواجبات الضرورية لاشباع حاجات

١/المرجع نفسه والصفحة نفسها

٢/ ص ٤١٩(١٩)الفخر الرازي ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري ، التفسير الكبير، مج ٦ ط٢، (بيروت : دار الفكر، ١٩٧٨م

٣/ عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، (جدة : دار جياد ، ٢٠٠٨)ص٢٦ .

٤/ محمود سالم عبيدات ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٣ . (

٥/ ابن منظور ، لسان العرب (بيروت، دار صادر،) ص ص ٢٤١-٢٤٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المجتمع ، وتحقيق النفع العام ولابد لتعريف مفهوم التنمية البشرية من تعريف مفهوم التنمية عامة إذ من خلالها يتوصل إلي الفهم الحقيقي للتنمية البشرية .

تعريف التنمية لغة :

ورد في لسان العرب « نمى « النماء، الزيادة، نما، ينمو ، نمواً ، زاد وكثر، ونميت الشيء أي رفعته عليا ، وكل شيء رفعته فقد نميته، وكل ارتفاع إنماء، ونميت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطباً وذكيتها به، والنماء الربح[١].

وقال ابن فارس نمى بالنون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، والنامية الخلق لأنهم ينمون ويزيدون[٢].

إذاً كلمة تنمية في اللغة تعني الزيادة والكثرة والارتفاع والربح والإذكاء والإشباع.

تعريف التنمية في الاصطلاح:

التنمية كمفهوم عام تعني عملية التحويل من حالة إلى أخرى أفضل وهي تعني فن التطوير أو الفعل التطويري بمختلف أشكاله، فالتنمية بحد ذاتها هي عملية تطوير تؤدي إلى رفع مستوى المجتمع بمختلف جوانبه من مستوى أدنى نسبياً إلى مستوى أعلى نسبياً .

وقد عرفت هيئة الأمم المتحدة التنمية بأنها النمو مع التغيير، والتغيير اجتماعي وثقافي واقتصادي، وهو تغيير كمي وكيفي، أي بأن يتبع النمو الكمي نمو خلقي ومعنوي ونفسي أي نمو اجتماعي[٣].

وعليه يشمل مفهوم التنمية جميع المجالات التي تؤدي إلى تحقيق الرفاهية الإنسانية جمعاء من تنمية اقتصادية، اجتماعية ، ثقافية، قانونية، تنظيمية، إدارية، تتفاعل هذه العناصر فيما بينها لإحداث التغيير الشامل في المجتمع، ويشكل العنصر البشري أهم متغيراتها [٤]

ويري تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ إن عملية التنمية الإنسانية تقوم علي

١/ قبس المؤمن، التنمية الإدارية (عمان، دار زهران، ١٩٩٦م) ص ٩.

٢/ التنمية المحلية http://oumifiss.ektob.com/1263004.html التعريف والمرتكزات ٢٠٠٩/١١/١٤م، الساعة ٤ و ١٨ .

٣/ رمزي أحمد عبد الحي ، التعليم العالي والتنمية – وجهة نظر نقدية مع دراسا مقارنة (الإسكندرية : الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ٢٠٠٦) ص ٣٠

٤/ مدحت محمد أبو النصر ، تنمية الموارد البشرية (القاهرة : الروابط العالمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩) ص ٢٢ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

محورين أساسيين هما[١]:

الأول : بناء القدرات البشرية الممكنة للتوصل إلي مستوي رفاه إنساني راق ، وعلى رأسها العيش حياة طويلة وصحية واكتساب المعرفة ، والتمتع بالحرية ، لجميع البشر دون تمييز .

والثاني : التوظيف الكفء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني : الانتاج ومنظمات المجتمع المدني ، والسياسة وغيرها

وتنمية الموارد البشرية هي صقل وتوجيه ملكات العنصر البشري وسلوكه ونشاطه ، وتطوير قدراته ومهاراته لتناسب الوظائف التي تحقق النفع العام للمجتمع

مفهوم التنمية في الإسلام :

إن مفهوم التنمية في الإسلام يتمثل في قيام المجتمع باستخدام الموارد المادية والبشرية التي سخرها الله سبحانه وتعالى لهم أفضل استخدام ، بما يحقق للناس (حد الكفاية) وقيامهم بمهام الخلافة في الأرض[٢]

المفهوم الديني للتنمية :

هي مطابقة السلوك لصحة الاعتقاد بما يحرر عقل الإنسان وروحه وبدنه فتكون له القدرة علي تحقيق خلافته في الأرض بسيطرته علي بيئته واستغلالها لصالحه[٣]

مفهوم التنمية البشرية

إن مصطلح التنمية البشرية يؤكد علي أن الانسان هو أداة وغاية التنمية ، حيث تعتبر التنمية البشرية النمو الاقتصادي وسيلة لضمان الرفاه للمجتمع ،وما التنمية البشرية إلا عملية تنمية وتوسيع للخيارات المتاحة أمام الناس باعتبارهم جوهر عملية التنمية(٤).

ومعني توسيع خيارات الناس هو أن يتمتع الانسان بمستوي مرتفع من الدخل ، وبحياة طويلة خالية من الامراض ، بجانب تنمية القدرات الانسانية من خلال فرص ملائمة للتعليم .وقد أكد ذلك المفهوم تقارير التنمية ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٤ .

من ثم تطور مفهوم التنمية البشرية ليشمل مجالات عديدة منها ، التنمية الادارية

١/ صالح سليمان ، الفكر الإسلامي الاقتصادي المعاصر، منار الإسلام، العدد الخامس، السنة الرابعة عشر، جمادي ١٤٠٩هـ، ديسمبر ١٩٨٨م، ص ٦٣.

٢/ المرجع نفسه ، ص ١٣٠

٣/ مدحت محمد أبو النصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١ .

٤/المرجع نفسه والصفحة نفسها .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ويشكل الإنسان القاسم المشترك في جميع هذه المجالات ، اذن منهج التنمية البشرية هو الأساس الذي يعتمد عليه المخططون وصانعو القرار لإحداث التنمية الاجتماعية[١].

إن مفهوم التنمية البشرية هو منهج للتنمية الإنسانية الشاملة ، والتي تسعي إلي توسيع خيارات البشر ، بهدف تحقيق الغايات الإنسانية الأسمى ، بتجاوز المفهوم المادي للرفاه الإنساني ،إلي الجوانب المعنوية والحياة الإنسانية الكريمة ، التي تشمل التمتع بالحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتوفير فرص لاكتساب المعرفة والانتاج والابداع والكرامة اللإنسانية[٢] .

وعرفت ندي خليل التنمية البشرية بقولها : «هي تنمة الفرد داخلياً وخارجياً فيما يتعلق بطرق التفكير الذاتية ورؤيته للبيئة المحيطة ، وتفاعله معها واتصاله بالمجتمع «[٣].

وهذا يعني الاهتمام بالشخصية الإنسانية من حيث طريقة التفكير بحيث تكون ايجابية ، تؤدي إلي النفع العام والفهم الواعي لهذا الكون.مما يجعله يحسن التعامل معه، والاستفادة من خيراته .

ومن تعريفاتها أنها عملية تهدف إلي توفير وإتاحة الفرص المجتمعية والبيئية لنمو الطاقات الجسمانية والعقلية والروحية والإبداعية والاجتماعية إلي أقصي ما تستطيعه طاقات الفرد والجماعة [٤]

ويري تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ أن عملية التنمية الإنسانية تقوم علي محورين أساسيين هما : [٥]

الأول : بناء القدرات البشرية الممكنة .
والثاني : التوظيف الكفء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني .
كذلك يؤكد التقرير أن التنمية البشرية هي منهج أصيل يستهدف تحقيق الغايات الإنسانية الأسمي : الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية

١/المرجع نفسه ، ص ٢٢ .
٢/ ندي خليل مفهوم التنمية البشرية
٣/ مدحت محمد أبو النصر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١ .
٤/ المرجع نفسه ، ص ٢٢
٥/ www. Altanmiya.org

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وجاء في مدونة التنمية البشرية تعني ما يلي : [1]

١. فن إصلاح الذات و صناعة الحياة.

٢. كيف أجعل من نفسى إنساناً أفضل و كل ما أُنمي قدراتي وامكانياتي بما يساعد علي اكتساب مهارات جديدة.

٣. استخدام الناس لقدراتهم وتمكينهم من الانتفاع بها في مختلف الأنشطة الحياتية.

٤. هو أي علم يهتم برفع مستوى أداء الشخص و مستوى تفكيره نحو الآخرين و قبل ذلك نحو نفسه، من خلال التعامل و فن الاتصال بالآخرين.

٥. الكلمة الأولى و هي تنمية و تعني الزيادة بشكل مدروس و مفيد، و الكلمة الثانية البشرية هي ما يتعلق بالإنسان و البشر.

أهداف التنمية البشرية :

تتمثل فيما يلي:-[2]

١ -. بناء إنسان قادر على مواجهة الحياة بشكل إيجابي وفعال .

٢ - مساعدة الفرد على التفكير بشكل ابداعي و إيجابي و تغيير نظرته من نظرة سطحية إلى نظرة أكثر عمقاً، وبشكل مختلف للحياة من حوله.

٣ - محاولة إثراء تواصل الفرد بالمجتمع بشكل أخلاقي ومؤثر ، يعبر بها الفرد عن نفسه ، ويتولد شيء من الارتياح بينه وبين أسرته وأصدقائه وزملائه في العمل وقادته.

٤ - مساعدة الفرد لإيجاد الوظيفة المناسبة له ، وماتحتاجه كذلك من مؤهلات.

٥ - كيفية تعامل الفرد مع فريق العمل ومع قائد الفريق.

٦ - بناء إنسان يدرك ماهي أهمية الوقت ، وأهمية دوره في الحياة، وكيفية استغلال طاقاته ومواهبه ووضع أهداف لحياته.

٧ - كيفية التعامل مع المشكلات التي تواجهه بشكل إيجابي.

١/ سائد أبو بهاء ، التنمية من منظور إسلامي www.nulpit.alwatanvoice الأربعاء ٢٧ / ٥ / ٢٠١٥ الساعة التاسعة مساءً

٢/صحيح مئلم ٤ / ٢٠٨٨ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وخلاصة القول أن التنمية البشرية تهدف إلي ترقية الفرد ذاته وتوسيع مداركه ، وتطوير مهاراته وقدراته لتحقيق متتطلباته الأساسية وطموحاته وذلك من خلال تفجير القوى الكامنة لديه وفق قيم أخلاقية

مفهوم التنمية البشرية في الاسلام:

تعتبر تنمية الذات الإنسانية من أهم العوامل المساعدة علي تطبيق المنظور الإسلامي لأن الإنسان هو الركن الرئيس في أي تقدم وتطور اجتماعي ،ولا يمكن لأي دراسة فكرية أن تكون مجردة عن المجتمع ، فالمجتمع هو العنصر الأساس في المعادلة ، فإذا استطعنا أن نصنع الفرد وأن ننمي فيه الشعور بالمسئولية وان نجعله قادراً علي استيعاب الفكرة فعندئذ يمكن ان نحقق الهدف دون جهد يذكر – فلهذا من واجب المفكرين المعاصرين ان يوجهوا عنايتهم نحو الفرد ، فالتنمية البشرية هي أهم أنواع التنمية

ولقد أعطي الإسلام أهمية كبيرة لتنمية الفرد المسلم من خلال توعية ذاتية تجد دوافعها متجددة علي الدوام وقادرة علي العطاء باستمرار ، ولهذا جاء التوجيه القرآني منبهاً الفرد إلي مسؤولية نفسه في قوله تعالي : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (الشمس : ٧ – ١٠) والنفس مقصود به الإنسان وهو آدم وذريته من خلقه ، فألهمها فجورها وتقواها أي عرفها طريق الخير وطريق الشر وعن ابن عباس أن النبي صلي الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية (فألهمها فجورها وتقواها) رفع صوته بها وقال : « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وأنت خير من زكاها[١] أفلح أي فاز من زكي نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال وخاب من دنس نفسه بالمعاصي

أشار د. ابراهيم الفقي أن التنمية البشرية في الإسلام رائدها الحقيقي النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، الذي تجسدت فيه مقوماتها الأساسيةالمتمثلة في الالتزام، الإصرار ، الانضباط، المرونة)[٢] أذن التنمية البشرية في الإسلام مرتبطة بالقيم والأخلاق الحميدة ، من مساواة وعدل وعدم إسراف . قال تعالي :(كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين) (الأعراف:٣١) وقال تعالي: (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) (الحجرات:١٣)

١/ إبراهيم الفقي ، التنمية البشرية في الإسلام http;//altanmia,me/category السبت ٢٣ / ٥ / ٢٠١٥ م الساعة التاسعة مساءً

٢/ سائد أبو بهاء ، التنمية من منظور إسلامي ، pulpit .alwatanvoice .com ./articles /2008/07/23/140076.html

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقد عرفها سائد أبو بهاء بأنها عملية تغيير وتطوير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن ، وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان المادية والمعنوية تحقيقا لمقصود الشارع في الاستخلاف في الأرض بعيداً عن أي نوع من أنواع التبعية[١]

مفهوم التنمية البشرية في القرآن الكريم :

التنمية البشرية في القرآن الكريم مفهوم شامل يهدف إلي تحسين حياة الإنسان من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية وفق شرائع الله المقررة ، ويحرص علي التنمية الشاملة للإنسان من الزوايا المادية والروحية والخلقية كافة . فالإنسان مادة وروح وعقل وقلب وجسم ، له حاجات لابد من إشباعها وفق ضوابط شرعية واضحة .

عرفها موسي العراقي بقوله : " إنها عبارة عن عمليات إجرائية منظمة علي وفق رؤية فكرية منتخبة تهدف لتطوير القوي الكامنة في الإنسان بصقلها وتوجيهها نحو تحقيق طموحاتها بغية إشباع حاجاته المشروعة

وخلاصة القول إن التنمية البشرية في القرآن هي الإرتقاء بقدرات الإنسان للمستوى الذي يستطيع فيه أن يتعامل مع الآخرين ومع نفسه في بادئ الأمر بصورة و بطريقة تفيده في عمله وفي حياته الشخصية ووالاجتماعية. فالثقة بالنفس والتفكير الإيجابي و الإبداعي وتحديد الأهداف بكل وضوح ومهارات فن الاتصال والمقدرة علي التعلم وتنظيم الوقت وضبط النفس والمقدرة علي اتخاذ القرارات الحاسمة والصحيحة و المهارات الدارسية ووأنواع القراءات ومهارات التفوق الوظيفي وفن تكوين الثروة واستخدام قدرات الإنسان اللامحدودة كل هذه وأكثر تعتبر تنمية بشرية.[٢]

إنها منهج يهتم بتنمية الإنسان وتغيير اتجاهاته من السلبية إلي الإيجابية ،في مجتمع ما ، بكل أبعاده الاقتصادية والسياسية وطبقاته الاجتماعية، واتجاهاته الفكرية والعلمية ، مصداقاً لقوله تعالي : (إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد : ١١) .

خصائص التنمية البشرية في الإسلام :

١. **التغيير والتطوير** : بحسب قدرات الناس مصداقاً لقوله تعالي:(لايكلف الله نفساً إلاوسعها)(البقرة:٢٨٦) ويكون التغيير في التنمية نحو الأحسن. وقوله تعالي إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا مابأنفسهم) (الرعد : ١١) وقوله تعالي (وذلك إن الله

١/ www. Altanmiya.org

٢/ حسن إبراهيم الهنداوي مفهوم التربية من منظور إسلامي ،

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لم يك مغيراً نعمة ...) وهاتان الآيتان يشملان اتجاهي التغيير حيث أنه من تحسن سلوكه صلح حاله ، ومن ساء سلوكه تدهور حالة وخير شاهد علي ذلك حال الأمة الإسلامية في القرن الواحد وعشرين .وقد وضح القرآن الكريم أن التغيير يبدأ من النفس ، وهذا ما توصل إليه مدربو التنمية البشرية في القرن الواحد وعشرين .

٢. **الاستمرارية**: وهي السعي الدائم نحو ما ينفع الناس . قال تعالي: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) (المؤمنون:١١٥) فكل من عرف أن له خالق خلقه لغاية معينة وأنه لا محالة راجع إليه اجتهد في العمل الصالح وداوم عليه . وقال تعالي (اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال الله سبحانه وتعالي علي لسان نبيه ابراهيم مخاطباً بنيه « يا بني إن الله أصطفي لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) والتنمية البشرية تقتضي الاستمرارية والمداومة حتي تصير الأعمال سلوكاً راسخاً .

وهو ما تدل عليه الآيات السالفة الذكر

٣. **الشمولية** : وهي شمول قدرات الانسان المادية والعقلية والروحية[١] .

فلسفة التنمية البشرية في الاسلام:

تنطلق من مسلمة أساسية، وهي أن الإنسان خليفة الله في أرضه، وهذه الخلافة مقرونة بعبوديته[٢] قال تعالي:(وما خلقت الجن والإنس لا ليعبدون) وهذه الفلسفة قائمة علي فلسفة التربية المرتبطة بالجانب العقدي الذي جعل الرقابة الذاتية و مبدأ الاستخلاف و العقيدة ورقابة الله تعالى و مبدأ التقوى بوصلات موجهات لأي فعل اقتصادي او اجتماعي فيقاس النفع والضر أي (المصالح والمفاسد) بمدي الاستجابة لأمر الله [٣].

المحور الثاني : أسس ومقومات التنمية البشرية في القرآن الكريم

يوضح القرآن الكريم في الكثير من آياته أسس ومقومات التنمية البشرية (عناصرها وعواملها ويوليها عناية فائقة .

أولاً : أسس التنمية البشرية في القرآن الكريم

١/ راشد إبراهيم الدوسري ، دور التربية الإسلامية في التنمية cfijdida.over-blog.com/article-31681891.html السبت ١١ / ٤ / ٢٠٠٥ الساعة العاشرة صباحاً

٢/ الموقع نفسه .

٣/ سنية عبد االله ميرغني ، مختصر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج٣٢ (الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠١٠) ،ص ٨ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

١. **الاستخلاف**: وهو المرتكز الأول والوظيفة العظمي للجنس البشري ، بمعني أن يكون الإنسان خليفة في الأرض مصداقاً لقوله عز وجل : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (البقرة :٣٠) وتقتضي الخلافة تحديد الأهداف والسعي إلي تحقيقها بعزيمة وإصرار لتحقيق مراد الشارع في ضوء عبوديته ، وخلق علاقة سليمة مع أفراد المجتمع زاخرة بالعدل والنفع ، كما علي الإنسان أن يهتم بتنمية نفسه وتطويرها وإذكاء مهاراته ، ومداومة السعي والتعلم .والتغلب علي ما يواجهه من مشكلات .

٢. **التسخير**: قال تعالي: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (لقمان: ٢٠) ، ومعني ذلك أن الله سخر لبني آدم ما فيً السموات من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتسخر إليهم منافعهم، وما في الأرض من الجبال والأشجار والثمار ما لا يحصى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) أي أكمل الله تعالى عليكم نعمه وأتمها ، وقد سأل ابن عباس رسول الله صلي الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية فقال:» نعمه الظاهرة الإسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيئ عملك» وقيل النعم الظاهرة ما يري بالأبصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحُسن اليقين وما يدفع الله سبحانه وتعالي عن العبد من الآفات[1] ويقتضي التسخير حسن استقلال المسخرات.

٣. وقال تعالى (هوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِه وَإِلَيْه النُّشُورُ) الملك (١٥) (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ) (إبراهيم: ٣٢)

٤. **المعرفة والعلم** : حتي يؤدي مهمة الاستخلاف علي بصيرة من أمره، قال تعالي: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ) (الزمر: ٩) (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (البقرة: ٣١) وهذا مما يدل على أن الإنسان مؤهل لقيادة الكون لما هباه

١/صحيح البخاري ، كتاب الجمعة باب الجمعة في القري والمدن ، ٨٥٣

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الله من علم ومعرفة، وأن المعرفة والعلم يساعدان الإنسان لتكوين أفقا واسعا لمعرفة القضايا الحياتية والاجتماعية المختلفة .

٥. **التخطيط**: إن التنمية البشرية تقوم علي التخطيط وحسن التدبير وذلك يقتضي دراسة الواقع إذ يقول عز وجل: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠) وقوله تعالي أفمن يمشي مكباً علي وجهه أهدي أمن يمشي سوياً علي صراط مستقيم (الملك: ٢٢).

٦. . **المسؤولية**:تشكل أهم الأسس التي تقوم عليها التنمية البشرية، إذ عليها يعول نمو الشخصية الإنسانية ، ويتشكل إلتزامها وقوة إرادتها، ومعرفة غاية وجودها مصداقاً لقوله تعالي : (وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون) (الصافات : ٢٤) وقال الله عز وجل (ولوْ شاء اللهُ لجعلكُمْ أُمّةً واحِدةً ولكِنْ يُضِلُّ منْ يشاءُ ويهْدِي منْ يشاءُ ولتُسْأَلُنّ عمّا كُنْتُمْ تعْملُون) (النحل :٩٣) وقال تعالي : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) (المؤمنون : ١١٥) وقال تعالي : (كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) وقال صلي الله عليه وسلم(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[١] في هذه الآية وضح الله سبحانه وتعالي لبني آدم بأنه خلقهم من أجل غاية ، هي عبادة الله وطاعته، وتعتبر العبادة هي العنصر الأساس في التنمية الذاتية الإنسانية ، فالإيمان لا ينمو ما لم يكن مدعوماً بعوامل تغذية علي الدوام ، وتلك العوامل هي العبادات ، فالعبادة تنقل الإيمان من مجرد الإيمان العقلي المعتمد علي دليل منطقي استدلالي إلي إيمان وجداني يصل إلي أعماق الذات البشرية، يستشعره الفرد من ذاته، من وجدانه، فينعكس أثر ذلك الإيمان علي السلوك، وعندها يصبح المسلم الحقيقي هو الصورة المثلي للذات الإنسانية التي هذبتها العقيدة وأصقلتها العبادة

ولايقتصر أثر العبادة علي أنماط السلوك الإنساني الخالصة للخالق ، وإنما يمتد أثرها إلي الحقوق المشتركة مع المجتمع ، وبخاصة في مجال التعامل المالي

وبناء علي هذه المسؤولية يحاسب الله الناس علي أعمالهم ، ومن يقوم بما أمر الله به، يجزيه الله الجزاء الأوفى.

كما يقتضي الشعور بالمسؤولية أن ينمي المرء نفسه ذاتياً ، ويحاسبها ويمنعها من مواقف

١/ ويكبيدا الموسوعة الحرة

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الريب والتهم ، ويلزمها بتعلم كل ما هو مفيد ، ويلزمها بالصبر علي ما يصلحها .

٧-العمل : يتخذ العمل في الإسلام مكاناً بارزاً وأساسياً في المجتمع، والعمل هو ما يقوم به الشخص من مجهود إرادي واع وهو مايستهدف منه الإنسان السلع والخدمات لإشباع الحاجات التي تخصه، ومن هذا التعريف يتضح لنا أن مجهود الحيوانات أو مجهود الإنسان بغير هدف لا يعتبر عملاً. العمل هو المجهود الحركي أو ما يسمى بالطاقة والجهد الذي يبذله الإنسان من أجل تحصيل أو إنتاج ما يؤدي إلى إشباع حاجة معينة[١]. إذن العمل هو جهد يقوم به الإنسان لتحقيق منفعة ، وهو وظيفة اجتماعية تتحقق بها ذاتية الفرد وهو ذو قيمة اقتصادية ، أي مجهود يبذله الإنسان لتحقيق منفعة .

خلاصة القول أن كلمة عمل في الإسلام شاملة للمجهود العضلي والفكري ، فكل جهد مشروع مادي أو معنوي أو يجمع بينهما ، عظيماً كان أم حقيراً فهو عمل .

وللحث على العمل جاءت كثير من الآيات القرآنية متضمنة ذلك منها قوله تعالي : : (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) التوبة (١٠٥) وقال عز من قائل : (وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (النور : ٥٥) وقال صلي الله عليه وسلم : (الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل)[٢] (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (الملك : ١٥) وقوله تعالي : (إذ قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (الجمعة : ١٠)

فالله سبحانه وتعالي لم يقصر عمل الانسان علي الشعائر إنما دعاه إلي الانتشار في الأرض وطلب الرزق من اجل الفلاح . وقال عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا ﴾ (الكهف :٣٠) وقال سبحانه وتعالي (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسني وسنقول له من أمرنا يسرا) (الكهف : ٨٨) وقال عز وجل (إن الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) (الكهف : ١٠٧ – ١٠٨)

١/ رواه الالباني في السلسلة الضعيفة

٢/ العجلوني ، كشف الخفاء ٢ / ٣٠٥ درجة الحديث ضعيف

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٧. **التغيير**: ويعني به تغيير قدرات الإنسان ومهاراته نحو الأحسن. وقد ورد لفظ التغيير في القرآن الكريم قال تعالي : (إِنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ مَا بقَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّه بقَوْم سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ منْ دُونه منْ وَالٍ) (الرعد :١١) وقال عز من قائل : (ذَلكَ بِأَنَّ اللَّه لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْم حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّه سَميعٌ عَليمٌ) (الأنفال :٥٣)

وورد في معنى التطوير حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم (من تساوى امسه بيومه فهو مغبون)[١] والتغيير يبدأ من النفس وذلك عن طريق التجرد من العادات السلبية والمداومة علي الإيجابية للوصول إلي حياة مليئة بالسعادة في الدارين فالإنسان في الإسلام مطالبا بصنع التغيير ، بأن يكون إيجابياً مبادراً .

٨. **الأمانة** :وهي تشمل أمانة الدين وأمانة المهنة. إذ عليها المعول في ضبط أي سلوك إنساني ، وبفقدها تنهار قيم العمل وضوابطه، قال تعالي علي لسان ابنة شعيب : قال تعالي (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) (القصص :) وقال صلي الله عليه وسلم إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قالوا وما إضاعتها ؟ قال إسناد الأمر لغير أهله [٢] .

٩. **الإصلاح** : ورد مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم ببعدين :

الأول: الصلاح الذي ينصرف إلى الفرد الذي يتصف بالإيمان والورع والتقوى والسلوك القويم .

الثاني : الإصلاح الذي ينصرف إلى الجماعة أو المجتمع أو الدولة ويعني مجموعة من القواعد الثابتة للسلوك والعلاقات بين أفراد المجتمع استناداً على القيم الأخلاقية والدينية، فقد قال تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾. وعموماً فإن البعدين مرتبطان ببعضهما البعض، فلا صلاح لمجتمع دون صلاح أفراده كما أن صلاح المجتمع إنعكاس لصلاح أفراده[٣].

ومن أجل ذلك كانت رسالات الأنبياء جميعهم تقوم علي الإصلاح انطلاقاً من قوله تعالي: (قَالَ يَقَوْم أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَة مِّن رَّبِّي وَرَزَقَني منْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالفَكُمْ إِلَى مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاَّ بِاللَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه أُنِيبُ) (هود : ٨٨)

١/ صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، حديث رقم ٦١٣١

٢/ www.ashargia.forum.com/1167

٣/ صحيح مسلم /٤/ ٢١٨٣ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثانيا : مقومات التنمية البشرية في القرآن الكريم :

إن التنمية البشرية هي المدخل الأساس للتنمية الشاملة ، وعليه عني القرآن عناية فائقة بتنمية البشر من حيث تنميتهم عقدياً وعقلياً وجسدياً ونفسياً . وأول مقومات التنمية البشرية في القرآن الكريم تنمية العقيدة إذ بها تحفظ الكرامة الإنسانية وتزكو النفس وتنطلق في مدارج الكمال .

أولاً : تنمية قوة العقيدة

هي أساس القوة جميعها أو هي قوام القوة وبضعفها وفقدها يضيع كل شئ .فالعقيدة تعني الأفكار التي يؤمن بها الإنسان ويصدر عنها كل تصرفاته وسلوكه – أي إذ صح الاعتقاد سلم التصرف وصح السلوك والعكس . فمن آمن بالله رباً انقدح ذلك في جميع تصرفاته فهو متحرر من الأهواء والشهوات، واثق من أن كل ما يصيبه هو قدر الله ، متحرر من العبودية للخلق فمعبوده وإلهه بحق هو الواحد الأحد سبحانه وتعالي ، مصداقاً لقوله تعالي : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣) لا يذل نفسه ولا يخنع لسواه ، عزيز إذ أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ثانياً : حفظ الكرامة الإنسانية

تعتبر الكرامة الإنسانية منحة ربانية تنتظم جميع بني آدم ، لذلك علي البشر جميعاً المحافظة علي اكرامتهم التي هباهم الله لهم بغير حول ولا قوة منهم ، فعلى الإنسان أن يزكي نفسه ولا يدنسها ولا يمرغها في وحل المعاصي والشهوات . إذ يقول عز وجل في محكم تنزيله : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء : ٧٠) وأول وأعظم تكريم وتفضيل لابن آدم هو العقل ، وخصه بالإرادة أن يختار بإرادته ما شاء ، وفضله عن الحيوان باعتدال القامة وحسن الصورة وهو أحسن ما يكون ، لأنه خلق كل شئ مكبا علي وجهه وخلقه وهو مستويا ، وزينه بالعقل ، وأعطاه قامة مديدة يتناول أكله بيده . قال ابن عربي ليس لله خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله خلقه حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً متكلماً ، وهذه صفات الرب سبحانه وتعالي ، وعبر بعض العلماء عنها . وجاء في حديث الرسول صلي الله عليه وسلم قوله « إن الله خلق آدم علي صورته »[1] ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة ، فلن يبقي إلا أن تكون معاني [2] مصداقا لقوله تعالي : (لقد

١/ سنية عبد الكريم ميرغني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨٩ .

٢/ فعالية القرآن في صناعة الحضارة والإنسان http;//www.hiramagazine.com الاثنين الموافق

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (التين : ٤) وقيل االمراد بالإنسان هو آدم وذريته كما أكرمه بلبس الثياب والأكل باليد وكرمه بالنطق والكلام والتمييز بين الخير والشر وتسخير سائر الخلق له كذلك رزق الله بني آدم من الطيبات ، قال تعالي : « ورزقناهم من الطيبات « أي أطعمهم لذيذ المطاعم والمشارب . فالرزق من عند الله سبحانه وتعالي تكفل به لمخلوقاته ، فلا يذهب عقله ولا يذل ويضعف مروءته ولا يفقد إنسانيته ، بل يسعي في تزكية نفسه وتنميتها بكل سبل المعرفة ويستفيد من كل أدوات التفضيل التي هباه الله بها .

وذكرت مجلة حراء بأن التكريم له بعدان كما يلي : [١]

البعد الأول : التكريم المرتبط بالوجود الدنيوي للإنسان في الأرض واستخلافه وتمكينه من عمارتها وتسخير الكائنات كافة له ، مصداقا لقوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) (إبراهيم ٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين وسخر لكم الليل والنهار) ابراهيم ٣٣) أي الله سبحانه وتعالي هو الذي أبدع السماوات والأرض من غير مثال سابق ، وأنزل من السحاب ماء فأنبت به الأشجار والنباتات التي تخرج الفواكه والحبوب والثمار ، وسخر السفن تبحر في الماء بأمر الله ؛ وتسخير وتذليل البحار نوعان : العذب للشرب وسقي الأنعام والزرع ، والمالح لاستخراج اللؤلؤ والمرجان[٢] وقوله تعالي : (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) (ابراهيم : ٣٣) وكذلك الشمس والقمر يجريان بأمر الله تعالي لا يفتران طاعة لله تعالي وفيهما مصالح العباد ، وسخر الليل للراحة والسكون ، وذلل النهار للسعي وطلب الرزق [٣] .

ويعني الله سبحانه وتعالى بذلك تشريف الإنسان . وكما زوده وهباه بالمقومات الذاتية التي تمكنه من القيام بتكاليفه ومسؤولياته من عقل وإرادة ونطق وكلام ومقدرة علي التمييز بين الخير والشر ورزقه من الطيبات ، وذلل له سبل الراحة والسعي ،ليستغل كل هذه المقومات في تنميته الذاتية .

البعد الثاني مرتبط بالآخرة حيث يكون الأكرم عند الله عز وجل أي الأفضل منزلة

---

٢٩ / ١٢ / ٢٠١٤ الساعة العاشرة مساء

١/ سنية عبد الله ميرغني ، مختصر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج٢ (الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠١٠) ص ١٩٩

٢/ المرجع نفسه والصفحة نفسها

٣/ المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ص ٢١١ – ٢١٢ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وخلاصة القول أن تكريم الله للإنسان يعني تشريفه من جهة ويعكس خطورة التكليف من جهة أخري ويظهر ذلك في قوله عز وجل : (إنا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبين يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)

كما تظهر كرامة الإنسان في إسجاد الملائكة له بعد نفخ الروح فيه ، (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر : ٢٩) أي إذا نفخت فيه الحياة ، فاسجدوا له تحيةً وتكريماً لا سجود عبادة والله يفضل من يريد ، ففضل الأنبياء علي الملائكة ، وكانت الملائكة أفضل من آدم فامتحنهم الله بالسجود له ليجزيهم عليه جزيل الثواب .[١]

فإذا استشعر الإنسان كرامته عند ربه شمر عن ساعد الجد ، وسار في الطريق الذي ارتضاه له ربه ، وعمل الصالحات وابتعد عن خبائث الأعمال .

ثالثاً : تنمية (الصحة الإنسانية) القوة الجسدية :

عني القرآن بالصحة الجسدية والصحة العقلية والنفسية عناية شاملة كاملة ، ففي مجال القوة الجسدية ، جعلها من مرتكزات القيادة مصداقا لقوله تعالي (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) البقرة : ٢٤٧)

وقال تعالي : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (الأنفال : ٦٠) كما أنها سبب في التوظيف مصداقا لقوله تعالي (يابت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) (القصص : ٢٦)وفي الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، أحرص إلي ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .[٢] لأن القوة هي طريق العزة وطريق النصر

- فالرب سبحانه وتعالي أهتم بتغذية الإنسان منذ طفولته الباكرة إذ يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (البقرة : ٢٣٣)
- كما وفر الرب عز وجل جميع الأطعمة والأشربة التي يكون بها قوام الأجسام والشفاء من الأمراض منها : اللبن ، العسل قال تعالي :(يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) (النحل : ٦٩) ومنها التمر قال تعالي : (وهزي إليك بجذع النخل تساقط عليك رطباً جنياً) (مريم : ٢٥) فكلي وأشربي وقر عينا) (مريم : ٢٦)

١/صحيح مسلم ، كتاب القدر ، رقم ١٥ ، حديث مرفوع

٢/ سنية عبد الله ميرغني ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٤٤٤ – ٤٤٥ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفواكه (والتين والزيتون) التين : ١) (فأنبتنا فيها حباً ، وعنباً وقضباً ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً)(عبس : ٢٧ - ٣١) - كما أحل الطيبات جميعها قال تعالي : (يسألونك ماذا أُحل لهم قل أُحل لكم الطيبات) (المائدة : ٤) .

- وحرم الخبائث جميعها لما لها من ضرر علي الإنسان . قال تعالى : (حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح علي النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق) (المائدة : ٣) وقال تعالي : قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث قل لا يستوي الخبيث والطيب أي لا يستوي الحرام والحلال ... فالخبيث لا يُفلح ولا يُنجب ، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر ، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة [١] والقوة الجسدية هي مناط الصحة والعافية والمقدرة علي أداء الأعمال لذا عني علماء التنمية البشرية بها وعدوها من العوامل الأساسية التي تزيد من عزيمة الإنسان تُوجد قادة ناجحين .

- كما حث االقرآن علي الاقتصاد في الأكل والشرب من أجل الحفاظ علي صحة الإنسان قال تعالي :(كلوا وأشربوا ولا تسرفوا) وقوله تعالي : (يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة : ١٨٣)

- كذلك اهتم القرآن الكريم بالنظافة ولا يخفي مالها من أثر في صحة الإنسان ووقايته من الأمراض قال تعالي : ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلي المرافق وأمسحوا برءوسكم إلي الكعبين) (المائدة :) (والله يحب المطهرين)

- كذلك يسر للإنسان سبل الراحة الجسدية بالخلود إلي النوم في الوقت المناسب له قال تعالي : (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً) (الفرقان : ٤٧)

- النهي عن كل الممارسات التي تضر بالجسد وبالنفس قال تعالي : (ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشةً وساء سبيلاً) ووضع له العقوبات الرادعة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رحمة في دين الله) (النور : ٢)

وخلاصة القول أن القرآن الكريم وضح كل ما يحافظ علي صحة الإنسان وقوته عقلاً

١/أندي هاندي شمس المعارف ، اسهام التربية الإسلامية في تنمية القوي البشرية ' (جاكرتا : إلنياها ، ٢٠١٠) شفر الدين تاج الدين دور تربية القوي البشرية في سيادة الأمة الإسلامية وقيادتها في عصر العولمة ، ص ١٨٤ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وجسماً ونفساً وروحاً وذهناً ، وذلك بنهيه عن كل مايضر بصحته وأمره بالمحافظة عليها مبيناً له طرق وأساليب الحماية والوقاية .

رابعاً : قوة العلم :

بناءً علي ما سبق لم يقتصر القرآن في التنمية البشرية علي القوة الجسدية ولكن بدءً اهتم بقوة العلم لأنها تستطيع توجيه القوة الجسدية لما يصلحها ولذا لم يكتف الرب سبحانه وتعالي بالبسطة في الجسم بل سبقها بالعلم ، واهتماماً بالتنمية العلمية والمعرفية جاءت أول آيات القرآن حاثةً إلي العلم (إقرأ) (القلم : ١) فالعلم وسيلته القراءة وعندما تضعف مقدرة الإنسان علي القراءة تضعف قوة العلم عنده كما أهتم القرآن بالنظر والتأمل في الكون الواسع مصداقا لقوله تعالي : (أولم ينظروا في ملكوت السماوت والأرض وما خلق الله من شئ) (الأعراف : ١٨٥)

- كما زود الرب سبحانه وتعالي الإنسان بأدوات ووسائل المعرفة من سمع وبصر وفؤاد ، فإذا أحسن الإنسان استغلالها اكتسب العلم والمعرفة وإذا عطلها أنطمست معالمها في قلبه وضعفت مقدرته علي التعلم فالمرء لا يصير عالماً إلا بالتعلم . قال تعالي : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (النحل : ٧٨)

- قد وردت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية في فضل العلم، والحث عليه. فقال سبحانه : (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) (سورة يوسف :٧٦) وقوله سبحانه : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (سورة المجادلة : ١١) وقوله عز وجل"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط" (آل عمران : ١٨) وقال عز وجل : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر : ٩) فالعلم أداة التمييز بين الحق والباطل ، الخير والشر ، الصواب والخطأ ، الهدى والضلال ، الحسن والقبيح ، النافع والضار فهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه بحال[١]

قال زكريا بشير إمام : (العلم قوة : بمعني أنه يهب القوة علي التنبوء والسيطرة والتحكم علي الموارد والسلطة)[٢]

١/ زكريا بشير إمام ، التخطيط الإستراتيجي والتعليم العالي في الوطن العربي ، ط٢ (الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠١٠) ص ١٦٦ .

٢/ سنية عبد الله ميرغني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩١ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

عليه لابد من الإشارة أن العلم المطلوب هو العلم النافع الذي يقود إلي التنمية البشرية ، ويحقق الأهداف الدنيوية والأخروية ، فغاية حاجات الإنسان المؤمن هو تحقيق رضا الله سبحانه وتعالي ، ومن آتاه الله علماً يجب أن يطهر نفسه من الآفات التي تضر به وتقعده عن تنمية ذاته وتورده موارد الهلاك ، وذكر الله سبحانه وتعال الكثير من أمثلة الذين لم يزكُ أنفسهم ولم يطهروها رغم ما أُوتوا من علم فأولهم أبليس الذي اغتر بأصله وعلمه قال ابن عباس : « إن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة ، يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت الملائكة من نور ، وكان اسمه بالسريانية عزازيل وبالعربية الحارث ، وكان من خزان الجنة ، وكان رئيس ملائكة السماء الدنيا وكان له سلطانها والأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فرأي لنفسه بذلك شرفاً وعظمةً ، فذلك الذي دعاه إلي الكفر فعصي الله فمسخه شيطاناً رجيماً .

كما لقي فرعون مصيراً مظلماً وذلك لكفره ما جاء به موسي من البينات والأدلة الواضحة علي صدقه وصدق رسالته من ربه ، فأبى إلا أن يخلد إلي الأرض كبراً وطغياناً وتعظماً عن الإيمان بموسى ، ولقي قارون نفس المصير ، لأنه لم يوفق إلي تنمية ذاته وتطهيرها وتزكيتها من ذميم الأخلاق ، وسيي الأعمال عليه لا ينفع العلم مع الكبر والكفر وعمل المعاصي .

وتمثل القوة العقلية مناط التكليف وأس التنمية البشرية ، وعلية تعتبر القوة العقلية مُقوِّم أساس في التنمية البشرية .

خامساً : تنمية القوة العقلية :

العقل البشري هو مناط التكليف وبقدرته علي التفكر والتدبر والنظر في ملكوت الله سبحانه وتعالي واستنباط الأمور يتوصل إلي صحة الاعتقاد وجازم الأيمان . وقد أشاد القرآن بصاحب العقل المفكر، قال تعالى: (أولم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ، إن في ذلك لآيات لأُولي النهي (طه:١٢٨) وقد كرّر ذلك مرات عديدة، وحسبنا في ذلك أن مادة (عقل) وردت في القرآن الكريم في مائة وثلاثة وثلاثين موضعاً، ومادة (نظر) بمعنى تأمل في ثلاثة وعشرين آية، ومادة (فكر) في ثمان عشرة آية، أو ما يشبهه في العديد من الآيات، وكلما ذكر آية من آيات قدرته وتدبيره وإبداعه ختمها بالتنويه بالعقل . يقوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماءٍ فأحيا بها الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لآيات لقوم يعقلون (البقرة : ١٦٤) لآيات لقوم يعقلون أي دلالات تدل علي وحدانيته وقدرته ، وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « ويل لمن قرهذه الآية فمج بها « أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها [١] .

سادساً : تنمية القوة الروحية :

وتتحصل التنمية الروحية بالتربية والجهاد قال تعالي : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

مفهوم التربية الروحية :

التربية الروحية تعني

١. تكوين الوعي للفرد المسلم بأهمية الحياة الروحية
٢. تعويد الفرد المسلم علي ممارسة العبادات بأساليبها في ميادينها المختلفة
٣. تنشئة الفرد علي أداء العبادات بروحها لا بشكلها حماية لروح الفرد المسلم من أمراضها وعللها

فالجانب الروحي في الإنسان هو الركن الأصيل والمحقق لإنسانية الإنسان ، وبه ينال الإنسان كماله ، وهو الذي يلتذ ويتألم ،ويصل إلي السعادة أو الشقاوة [٢].

« إن البناء الروحي وهو تمكين الإيمان والإرادة الربانية من النفس في فكرها ووجدانها ونشاطها لا يتم إلا من خلال تقوية الإيمان ، والوجدان الإسلامية والإرادة الربانية من جهة ... والوعي الذاتي ومعرفة حيل النفس وأساليبها في الدفاع ، ونقاط ضعفها من جهة أخري ذلك لأن من الممكن أن تعمل الدوافع الذاتية في النفس من دون أن يشعر بها الإنسان « [٣]

وعليه تحتاج التنمية البشرية إلي التربية الإيمانية ، والتربية في أسمى أهدافها تسعى إلى إيجاد التكامل بين التصوّر العقدي والواقع العملي ، بحيث تكون العقيدة منطلقاً تطبيقاً للحياة ، تتعامل مع كل عناصر الكينونة الإنسانية وتلبي كل جوانبها وتتفاعل مع جميع مقوماتها المعنوية والمادية .

ويمثل قيام الليل وذكر الله سبحانه وتعالي وتلاوة القرآن والثقافة والأجواء الإيمانية والمحاسبة والنقد الذاتي ومخالفة الأهواء والاعتكاف من أهم وسائل التربية الروحية .

١/- موسي البغدادي العراقي http;//www.facebook.com الاثنين 29 / 12 / 2014 م الساعة العاشرة مساء

٢/- الموقع نفسه

٣/ الإعجاز العلمي والنفسي في رمضان ، women.bo7.net/girls487510 - ٥ / ٤ / ٢٠١٥ الساعة الخامسة صباحا

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والنبي صلي الله عليه وسلم كان خير قدوة ومثال لذلك فهو يقوم الليل إلي أن تتورم قدماه شكراً لله وتزكية لنفسه وكان يشجع أصحابه علي قيام الليل فهاهو يقول نعم العبد عبد الله بن عمر لو كان يقوم الليل .

ويمثل الصوم برنامج متكامل لتنمية قدرات الإنسان علي الضبط الذاتي وإعادة برمجة جهازه العصبي والسلوكي مما يخفض المؤثرات الحسية لديه ويمنعها من إثارة مراكز الانفعال إن تقليل المؤثرات الحسية له تأثيرات إيجابية علي النشاط الذهني والقدرة علي التفكير المترابط العميق والتأمل والإيحاء ، وأن الضبط الذاتي يمنح الإنسان قدرات عالية علي الصفاء والحكمة والتوازن النفسي [1]

سابعاً : التنمية الاجتماعية :

تتمثل في الآتي :

- تنمية قوة النسيج الاجتماعي الذي يقوم علي نسق قيمي أخلاقي يحافظ علي كرامة الفرد ويحافظ علي وحدة المشاعر الإنسانية والانتماء ، كما تشمل السلوك الثقافي الذي يحترم قيمتي الوقت والعمل بجانب السلوك الإداري من انضباط واتقان للعمل واحترام القيادة ...ألخ وقدرة الدولة علي توفير الخدمات الصحية الجيدة بالمنظور العالمي وتوفير التعليم الإستراتيجي. قال تعالي : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (الحجرات : ١٣) قال تعالي : (وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الأثم والعدوان) (المائدة : ٢) قال تعالي (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور) (لقمان : ١٨)
- تنمية مشاعر الحب والانسجام مع العالم المحيط والعالم الإنساني ، وتقوية الشعور بالرابطة الإنسانية التي تربط بين بني البشر بعضهم بعضاً . قال تعالي : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل : ٩٠)

وفي هذه الآيات تظهر الأوامر الألهية التي إذا امتثلها الفرد نمي بنفسه ورقاها في مدارج الكمال ، ومنها العدل والإحسان وإتاء ذي القربي والتعاون على البر والتقوى ، وكذلك وضح الله عز وجل االسلوك الذي يضر بالفرد والمجتمع من تصعير الخد لأفراد المجتمع ، والمشي في الأرض مرحاً ، والاختيال والفخر ، والفحشاء والمنكر والبغي .

1/ نداء محمد الصوص ، مرجع سبق ذكره، ص ٩٨.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ويري علماء التنمية البشرية في هذا القرن الواحد والعشرين أن يتحرر الإنسان من العادات السلبية ويداوم علي العادات الايجابية حتي تصير سلوكاً راسخاً وفي هذا يقول الرسول صلي الله عليه وسلم أفضل الأعمال أدومها وإن قل وهذا مناطاً بالعمل الصالح

ثامناً : تنمية دافعيته :

إن الدوافع حاجات الفرد ورغباته غير المشبعة ، تمثل نوعاً من القوى الدافعة التي تؤثر علي تفكير الفرد ، وإدراكه للأمور والأشخاص من ناحية كما أنها توجه السلوك الإنساني في إتجاه الهدف الذي يشبع تلك الحاجات والرغبات[١]

أما الكاتب لوثانز فيري أن مفتاح فهم عملية الدافعية يكمن في فهم المصطلحات الاتية: الحاجات البواعث / القوى والدوافع والحوافز ويرى أن الدافعية تبدأ بوجود نقص حاجة ما لدى الفرد ، وينشأ عن هذه الحاجة عدم توازن / خلل فيتولد لدى الفرد دافع أو باعث يحرك ويوجه سلوك الفرد بإتجاه تحقيق هدف أو نتيجة أو حافز يعمل علي تلبية الحاجة وهي توفر قوة موجهة أو سد النقص ، فالدوافع تشكل حوفز عملية الدافعية فهي توجه سلوك الفرد بهدف سد النقص[٢].

إذن هناك علاقة ارتباط قوية بين السلوك والدافعية ، وعليه يتصرف الإنسان وفقاً لدوافعه .

والله سبحانه وتعالي اللطيف الخبير العالم بنفوس عباده ، والعالم بما يحرك دافعيتهم لأداء الأعمال وضع لهم مجموعة من الحوافز التي تثير دافعيتهم لأداء الأعمال ، ويبرز ذلك في الكثير من الآيات القرآنية ، قال تعالي : (وعد الله المؤمنين جنات ورضوان من الله أكبر) (التوبة : ٧٢) أي وعد الله تعالي المؤمنين والمؤمنات ببساتين تجري من تحتها الأنهار وهم باقين فيها لا يخرجون منها ولهم فيها مساكن وغرف وهي في جنات وسط الجنة سقفها عرش الرحمن بالإضافة إلي رضاء من الله عليهم أكبر مما هم فيه من نعيم [٣].

وقال تعالي : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل : ٩٧)

تاسعاً : تنمية قيم العمل لديه

قد حث الله علي العمل بحسبانه وسيلة فاعلة لتقدم المجتمع ، وبلوغه مكانة مرموقة بين

١/ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٢/سنية عبد الله ميرغني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٤ .

٣/ أحمد عزمي إمام ، التنمية البشرية والإبداع الإداري – دراسة نظرية بتطبيق علمي معاصر (الجيزة : المؤسسة العربية للعلوم والثقافة ، ٢٠١٣ – ٢٠١٤) ص ٢٣ .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الأمم والشعوب ، كما أن العمل مهم للتقدم في الدنيا فهو كذلك وسيلة التفاضل في الآخرة ، وعليه ضبط الإسلام سلوك الفرد في أدائه ووجهه إلي العمل المنتج الذي يسد حاجة الفرد ، وينفع المجتمع ، ويترك أثراً ملموساً علي حياة الفرد والأمة ، وهو مغزي التأكيد القرآني علي العمل النافع بأنه العمل الصالح ، فالفائزون من الناس هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهو نص قوله تعالي : (والعصر (١) إن الإنسان لفي خُسر (٢) إلا الذين امنُوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) (العصر : (١) : ٣) وقال تعالي : (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره) (الزلزلة : ٧) وقال عز من قائل: (من عمل صالحا من ذكراً أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ،ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل : ٩٧)

وعلي مستوي الخطاب العام :

(وقل اعلموا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون) (التوبة : ١٠٥)

كما حث الله سبحانه وتعالي إلي إتقان العمل ، والإتقان يكون ببذل أقصي الجهد ، بغية الوصول إلي أعلي إنتاجية ، والتميز في النوعيه والارتقاء بدرجته ، باعتبار أن الجودة قيمة أساسية من قيم العمل في الإسلام ، والجودة تكون بالبحث المتواصل لابتكار أفضل الأساليب لتحسين المنتج ، وزيادة عائده والتقليل في تكلفته .

عاشراً : التنبيه علي أهمية الوقت وإعماره بالعمل الصالح .

أشار الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم إلي أهمية استثمار الوقت وإعماره بالأعمال الصالحة ، فاستثمار الوقت هو ركن عظيم في التنمية البشرية ، ولعظمة الوقت في أداء الأعمال وفي التنمية البشرية أقسم الله سبحانه وتعالي به فيا العديد من الآيات القرآنية . قال تعالي : (والضحي والليل إذا سجي) والعصر إن الإنسان لفي خسر) . وقوله عز وجل : (سارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين) (آل عمران : ١٣٣) (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد : ٢١) قال الله تعالى : وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (سورة البقرة : ١٤٨)أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية،

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهوالذي خلق الله له الخلق، وأمرهم به.

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات، وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر.ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب قال تعالي : أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية .

(فاستبقوا الخيرات) (المائدة : ٤٨)

ومن هذه المقومات يستنتج المرء أهم مظاهر الإعجاز القرآني في التنمية البشرية وهي كما يلي :

١.الكرامة الإنسانية :

- في كون للبشر حق أصيل في العيش الكريم مادياً ومعنوياً جسداً ونفساً وروحاً مع رفض أي نوع من أنواع التمييز ، إضافة إلي التمتع بالحرية واكتساب المعرفة وتحقيق الذات .

- السمو الروحي والارتقاء في العوالم الربانية بتقوية الصلة بالله سبحانه وتعالي والصعود في مدارج الكمال حتي يصبح الإنسان ربانياً (وكونوا ربانيين) وهذه درجة بعيدة المنال وتحتاج للمجاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

- كما يشكل الذكر متغير آخر للسمو والالتقاء بالله سبحانه وتعالي : (فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (البقرة : ١٥٢)

- رفع الروح المعنوية وقتل اليأس (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (يوسف : ٨٧) (وقال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) الحجر : ٥٦)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٢ . إدارة الذات :

ويدلل علي ذلك قوله عز وجل : (وَنَفْس وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) وإدارة الذات تعني الطرق واالوسائل التي تعين الشخص علي الاستفادة من وقته ، وإيجاد التوازن ما بين الواجبات والرغبات والأهداف مع قدرة في االتحكم في مشاعره وأفكاره واتجاهاته وامكانياته نحو الهدف الذي يسعي إلي تحقيقه [١] .

ويندرج تحت إدارة الذات ما يلي :

أ - ضبط النفس عند الغضب :

وهو عدم تنفيذ ما اعتمل في النفس من مشاعر عدوانية والعفو عن من أساء إليه مما يبلغه درجة الإحسان . وقال صلي الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » مصداقا لقوله تعالي : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين) (آل عمران : ١٣٤) وتوصية النبي صلي الله عليه وسلم لمن قال له : « أوصني قال لا تغضب ورددها مراراً » والغضب هو استجابة ضارة تحدث نتائج مدمرة في حالة التعامل معه بفاعلية « [٢]

ب - **إدارة الوقت** : ويشكل الوقت مورداً مهما لتنمية الشخص وتطوير نفسه ، وقد ركز القرآن علي أهمية إدارة الوقت ونبه إلي اعتنامه وإعماره بالأعمال الصالحة ونعي علي الذين يضيعون أوقاتهم في اللهو واللعب مصداقاً لقوله تعالي : (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـ ذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) (الأعراف : ٥١) ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) ويقول الحسن البصري « أدركت أقواماً كانوا علي أوقاتهم أشد منكم حرصاً علي دراهمكم ودنانيركم » [٣]

إدارة الوقت إنها إدارة التحكم في الذات وفي النفس البشرية ، إنها الإدارة التي تقوم علي تطوير وتحسين الإدارة الذاتية للنفس ، او للذات البشرية لمتخذي القرار ، هي إدارة للارتقاء الذاتي والتنمية الذاتية ، أي إدارة من أجل الأفضل والأحسن والأجود والأكثر إشباعاً .

ج - التخطيط الاستراتيجي لحياتهم وما بعد مماتهم :

وقد دلل الله سبحانه وتعالي إلي ترتيب الأوليات وهذا واضح في العبادات فجعل بعض

١/المرجع نفسه ، ص ٣٥

٢/ زيد منير عبوي إدارة الوقت (عمان : دار كنوز المعرفة ، ٢٠٠٦) ص ١٥٩ .

٣/ يوسف عثمان محمد سليمان ، السلوك التنظيمي (محاضرة مقدمة لطلاب الفرقة الثانية إدارة عامة وإدارة أعمال) ص ٨١

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أعمالنا أهم من بعضها الآخر ، حيث فرض فرائض وجعل بعض الأعمال فضائل وبعضها مباحات ورتب الفرائض فجعل بعضها فرض عين لا ينوب عن الفرد غيره في أدائه ، وبعضها فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ولكن سقوطه عن الباقين يحيله في حق من قام به فرض عين [١]

٣. **زيادة دافعية الأفراد وحماسهم وحبهم للعمل :** بتفجير طاقاتهم الكامنة عن طريق التحفيز مصداقاً لقوله تعالي : (وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ منْهَا من ثَمَرَة رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذي رُزِقْنَا من قَبْلُ وَأُتُواْ به مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٥)

٤. **التعليم والتدريب** ،و زيادة المعارف والمعلومات مصداقاً لقوله تعالي : (إقرأ بسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم (القلم : الآيات ١ – ٥) وإن النبي صلي االله عليه وسلم لم يطلب الزيادة في أي شئ سوي العلم ، قال تعالي :(وقل رب زدني علماً) (طه : ١١٤) (وزاده بسطة في العلم والجسم) (البقرة :) واهتم الوحي بتشاركية المعرفة إذ يقول الرسول صلي : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار « بمعني أن يكون العلم متاحاً للجميع .

٥. **تنمية قوة الملاحظة لديهم :**

(فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (النحل : ٣٦) (ألم يروا إلي الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يوقنون) (النحل : ٧٩)

نعي الله سبحانه وتعالي علي الغافلين إذ يقول عز وجل : (وكأين من أية في السموات والأرض يمرون عليها وهم معرضون) (يوسف : ١٠٥) (أنظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللأخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) (الإسراء : ٢١) (ومن كان في هذه أعمي فهو في الآخرة أعمي وأضل سبيلاً) (الإسراء : ٧٢)

وخلاصة القول أن تنمية شخصية الإنسان في القرآن الكريم تنمية متوازنة تتفاعل في إطارها كل عناصر الإنسان المادية والفكرية والروحية والعقدية والاقتصادية والاجتماعية علي أساس من الوحدة والانسجام ، تنمية توجه فيها طاقات الإنسان المختلفة في مجال الخير والبناء واستثمارها لصالح الإنسانية

١

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

بعد استعراض أدبيات الدراسة واستقراء الآيات القرآنية في الإعجاز القرآني في التنمية البشرية ، تم التوصل إلي النتائج التالية :

١. القرآن الكريم منهج حياة وضع قواعد وأسس ومقومات للتنمية البشرية شاملة ومتكاملة

١. التنمية في القرآن الكريم مفهوم شامل ، يشمل الإنسان بكل مكوناته الذاتية والاجتماعية وبيئته الخارجية

٢. مفاهيم التنمية البشرية في القرآن الكريم تتناغم مع العقيدة والأسس الإيمانية والقيم الأخلاقية

٣. القرآن الكريم عني عناية تامة بتنمية الإنسان روحياً وجسدياً وعقلياً واجتماعياً واقتصادياً

٤. التنمية البشرية هي الأساس للتنمية الشاملة ، ولا تتحقق إلا بتوفر الصحة الجسدية والعقلية والنفسية .

٥. وفر الله سبحانه وتعالي سبل هذه التنمية وذللها وسخرها لأجل استخدامها الاستخدام الأمثل

٦. وفر الله له كل الوسائل الحلال وأمره باستخدامها ومنعه من استخدام الخبائث لما تحدثه من ضرر علي الشخصية الإنسانية .

٧. بين له كل السبل والوسائل والطرق التي تؤدي إلي تزكية النفس وتنميتها .

٨. وجهه للاستفادة من عقله وأمره بالتفكر والتدبر والنظر في الكون وفي حال الأمم السابقة

٩. التنمية البشرية في القرآن الكريم بعيدة الأثر إذ يمتد أثرها ليشمل الدار الآخرة

١٠. يظل القرآن معجزة خالدة لا تنقضي عجائبه فقد وضح وبين أسس ومقومات التنمية البشرية منذ خمسة عشر قرناً ، وقد فطن علماء التنمية البشرية في الخمسين سنة الأخيرة من القرن العشرين (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك : ١٤)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وبناءاً علي النتائج اقترح الباحث التوصيات التالية :

١. أن يتبع الإنسان منهج الله سبحانه وتعالي في التنمية البشرية مستفيداً من أسس ومقومات التنمية البشرية في القرآن الكريم

٢. الفهم الصحيح لمفهوم التنمية البشرية في القرآن الكريم

٣. أن يزكي الإنسان نفسه ويبتعد عن كل ما يدنسها ويدسها من أخلاق وأفعال

٤. التمسك بأوامر الله واجتناب منهياته ، استشعاراً للمسؤولية وأن جميع ما يقوم به من عمل نافع هو عبادة لله سبحانه وتعالي .

٥. التدبر في آيات القرآن الكريم وفهمها فهماً سليماً وتطبيقها في الواقع المعاش .

٦. التدبر في آيات الله سبحانه وتعالي في الكون المنظور ومراقبة السنن بوعي مما يقوي المقدرة علي الملاحظة ، والاستفادة منها في تنمية الذات وتطويرها

٧. أن يجتهد الإنسان في تنمية نفسه بما يصلح دنياه وأخراه مستقلا كل ما سخرهالله له من الوسائل علي هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٨. الابتعاد عن الأخلاق الذميمة من كبر وغضب وطغيان وحسد واستعلاء وجميع الصفات السلبية لما لها من آثار سيئة في تدمير النفس الإنسانية والمجتمع

٩. الفهم العميق والوعي بمقصود الشارع من خلق الإنسان – إذ الاستخلاف مقرون بالعمل والتكليف

١٠. تطبيق الدول والحكومات مبادئ العدل والمساوة والحرية والشوري مما يحقق الأمن النفسي والاجتماعي ويتيح للإنسان التفرغ لتنمية مهاراته وتطوير قدراته وتنممية مجتمعه

١١. أن يوجه الباحثين أبحاثهم إلي دراسة الموضوعات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي تناولها

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أولاً : المصادر

القرآن الكريم .

الحديث الشريف

- ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت، دار صادر ، د.ت .
- الفخر الرازي ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري ، التفسير الكبير، المجلد السادس ط٢، بيروت : دار الفكر، ١٩٧٨م

ثانياً : المراجع

- ابوبكر الباقلاني إعجاز القرآن ، بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٨
- أندي هاندي شمس المعارف ، اسهام التربية الإسلامية في تنمية القوي البشرية ' جاكرتا : إلنياها ، ٢٠١٠ شفر الدين تاج الدين دور تربية القوي البشرية في سيادة الأمة الإسلامية وقيادتها في عصر العولمة ، ص ١٨٤ . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن الجزء الثاني ط ٢ بيروت : دار المعرفة
- حسن عباس ، إعجاز القرآن ، القاهرة : الشركة المتحدة للتسويق والتوريد ، ٢٠٠٨م
- رمزي أحمد عبد الحي ، التعليم العالي والتنمية – وجهة نظر نقدية مع دراسا مقارنة الإسكندرية : الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ٢٠٠٦
- زكريا بشير إمام ، التخطيط الإستراتيجي والتعليم العالي في الوطن العربي ، ط٢ الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠١٠
- عبد الرحمن النقيب بحوث في التربية الإسلامية د.م ، دار الفكر ، د.ت .
- عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة جدة : دار جياد
- عنترة بن شداد العبسي ، ديوان شعره ، شرحه وضبط نصوصه عمر فاروق الطباع ، بيروت : دار القلم للطباعة والنشر ، د. ت .
- عودة أبو عودة ، شواهد الإعجاز القرآني دراسة لغوية ودلالية عمان : دار عمار للنشر ، ١٩٨٨

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- قبس المؤمن، التنمية الإدارية عمان، دار زهران، ١٩٩٦م
- محمد رضا ' معجم متن اللغة ، المجلد الرابع مادة عجز
- محمود سالم عبيدات ، عمان : دار عمار للنشر ، ١٩٩٠م
- محمد متولي الشعراوي ، معجزة القرآن ، الجزء الأول ط ٤ قبرص : الكتاب العالمي ، ١٩٨٧
- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن الجزء الأول ط٣ ، بيروت: دار الفكر ، ١٩٨٨
- ------ مناهل العرفان في علوم القرآن ، الجزء الثاني ، بيروت : دار الفكر
- محمد فاروق النبهان ' أبحاث في الاقتصاد الاسلامي ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦ م
- سنية عبد الله ميرغني ، مختصر الجامع لأحكام القرآن الكريم ج١ الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠٠٨ .
- ----------، مختصر الجامع لأحكام القرآن ج٢ الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠٠٨ .
- ---------- مختصر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ الخرطوم : شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ٢٠٠٨ .
- نداء محمد الصوص ،

دوريات

- صالح سليمان ، الفكر الإسلامي الاقتصادي المعاصر، منار الإسلام، العدد الخامس، السنة الرابعة عشر، جمادي ١٤٠٩هـ، ديسمبر ١٩٨٨م، ص ٦٣.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بحوث

- يوسف محمد أبو سليمة ، فلسفة التربية في ضوء الكتاب والسنة بحث مقدم لكلية التربية الجامعة الإسلامية بغزة

تقارير

- منظمة الايسسكو دراسة عن التنمية المستدامة من منظور القيم الإسلامية وخصوصيات العالم الإسلامي
- تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩١ الذي أصدرته الأمم المتحدة

مواقع الانترنت

- http://www.wikipida.0rg.wiki
- http;//www.hiramagazine.com الاثنين الموافق ٢٩ / ١٢ / ٢٠١٤ الساعة العاشرة مساء
- http;//www.facebook.com الاثنين ٢٩ / ١٢ / ٢٠١٤ م الساعالعاشرةمساء
- http://oumifiss.ektob.com/1263004.html
- التعريف والمرتكزات ١٤/١١/٢٠٠٩م، الساعة ٤ و ١٨
- 2011www.masray.com .

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com